خالد بن محمد بن عبدالعزيز اليحيا

المختارات السنية

من أحاديث السنن اليومية

www.alukah.net

المُختَارَاتُ السَّنِيَّة
مِن أحَاديثِ السُّنِ اليَومِيَّة

جمع
خالد بن محمد بن عبد العزيز اليحيا

الإبرازة الأولى
شعبان/١٤٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن من أعظم ما يسعى إليه أهل الإيمانِ، ويرغبُ فيه عباد الرحمن الظَّفَرُ بمحبة المنان جل جلاله؛ لأنها كما قال السعدي رحمه الله: «هي أجل نعمةٍ أنعم الله بها على العبد، وأفضل فضيلةٍ، تفضَّل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدًا يسَّر له الأسباب، وهوَّن عليه كل عسيرٍ، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد»(١).

وقال ابن القيم مبينًا الغنائم العظام لمن أكرمه الله بمحبته: «طوبى لمن أقبل على الله بكليَّته، وعكف عليه بإرادته ومحبته؛ فإن الله يُقبل عليه بتوليِّه ومحبته وعطفه ورحمته، وإن الله سبحانه إذا أقبل على عبدٍ استنارت جهاته، وأشرقت ساحاتها، وتنوَّرت ظلماتها، وظهرت عليه آثار إقباله من بهجةِ الجلال وآثار الجمال، وتوجَّه إليه أهل الملأ الأعلى بالمحبة والموالاة؛ لأنهم تبع لمولاهم، فإذا أحب عبدًا أحبوه وإذا والى واليًّا والَوه... ويجعل الله قلوب أوليائه تَفِدُ إليه بالود والمحبة والرحمة، وناهيك بمن يتوجه إليه مالك الملك ذو الجلال والإكرام بمحبته، ويقبل عليه بأنواع كرامته، ويلحظه الملأُ الأعلى وأهل الأرض بالتبجيل والتكريم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»(٢).

ومن الأسباب المحصِّلة لهذه الخَلة العظيمة- بعد المحافظة على الفرائضِ- الاجتهادُ في الاستكثار من النوافلِ، والنوافلُ اليومية التي لا يكاد يخلو منها يومُ المسلم وليلتُه، هي الأولى بالمحافظة والمواظبة.

وفي هذا المسطور جمعٌ لأربعين حديثًا يحتوي كل حديثٍ منها على ذكر نافلةٍ أو أكثر، من النوافل المتكررة يوميًّا، مع ذكر فضائلها وشيءٍ من فقهها وأحكامها في زمرةٍ من المسائل. والحديثُ الأول فيه الترغيب في الاستكثار من النوافل عمومًا، وذكر ما رتِّب على ذلك من الفضائل(٣).

واللهَ أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه، نافعًا، مباركًا، إن ربي لطيف لما يشاء، وهو الغفور

(١)تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٣٥).

(٢)طريق الهجرتين (ص ١٨٢).

(٣)ولأهمية وكثرة النوافل المتعلقة بصفة الصلاة، والأذكار اليومية أفردتُّ كلًّا منهما برسالة.

الرحيم(١).

الحديث الأول

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)** أخرجه البخاري(٢).

فيه مسائل:

الأولى: أداء الفرائض يشمل فعل الواجبات الظاهرة، كالصلاة والزكاة، والواجبات الباطنة كحُبِّه تعالى والتوكل عليه والخوف منه، ويشمل أيضًا: تركَ المحرمات الظاهرة، كالكذب والغيبة، والمحرمات الباطنة، كالعُجب والرياء والحسد؛ لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده.

الثانية: النافلة والنفْل: يدخل فيه كلُّ عبادةٍ ليست بواجبةٍ، وهو المسمى بالمندوب والمستحب والتطوع، وأفراده كثيرة جدًّا، ومن رحمة الله أن كثَّر أنواعه وصرَّفها، فبعضه بدني، وبعضه مالي، وبعضه مركَّبٌ منهما، وبعضه نفعه متعدٍّ، وبعضه نفعه قاصرٌ؛ لتكثر خصال الخير في الأمة، فيكثر الثواب ويعظم الأجر، وتنشط النفوس لأبواب الخير، وليأخذ كل مسلمٍ بما يستطيع، وعامة ما في هذا المسطور هو من النفل، فعلى من يريد أن يحظى بمحبة الله أن يبذل جهده في الاستكثار من النوافل وملازمتها، وألّا يحتقر أيَّ نافلةٍ يتقرب إلى مولاه بها، قال ربنا جلَّ اسمه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}.

الثالثة: في الحديث حثٌّ شديد وترغيب أكيد في الاستكثار من النوافل والمداومة عليها؛ فقد رُتب على ذلك سبع فضائلَ عظيمةٍ جدًّا، فتأمْلها. قال ابن القيم: والدين كلُّه استكثار من الطاعات، وأحب خلق الله إليه أعظمهم استكثارًا منها(٣).

الرابعة: أن من أعظم الأسباب المعينة على ترك المحرمات هو الاستكثار من النوافل والمداومة عليها.

الحديث الثاني

---

(١)كان البدء بحمد الله في جمع هذا المكتوب في ٢٣/ذو الحجة/١٤٣٨. وآمل الإفادة عن أي ملاحظةٍ على البريد الإلكتروني kmy424@gmail.com

(٢)صحيح البخاري (٦٥٠٢).

(٣)مدارج السالكين (١/ ٢٧٤).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ)** أخرجه مسلم[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: الحديث إنما هو في بيان صفة متابعة المؤذن، لا في بيان صفة الأذان، قال النوويّ: معنى الحديث: أنه قال كلَّ نوعٍ من هذا مثنى -كما هو المشروع- فاختصر النبي ﷺ من كل نوعٍ شَطْرَه؛ تنبيهًا على باقيه[(٢)].

الثانية: إنما كان جزاء من تابع المؤذن الجنة؛ لأن في حكايته لِما قال المؤذن من تكبير الله وتوحيده والشهادة لنبيه ﷺ بالرسالة، والاستسلام لطاعته وتفويض الأمور إليه بقوله عند الحيعلتين: لا حول ولا قوة إلا بالله- إذ الحيعلة دعاء وترغيب لمن سمعها؛ فإجابتها لا تكون بلفظها بل بما يُطابقها من التسليم والانقياد؛ بخلاف إجابة غيرها من الثناء والتشهدين بحكايتهما- فإذا حصل هذا للعبد فقد حاز حقيقة الإيمان وجِماع الإسلام، واستوجب الجنة[(٣)].

الثالثة: أن إجابة المؤذن تكون إثْر قوله مباشرةً؛ لقوله: (فقال أحدكم) والفاء دالةٌ على التعقيب.

الرابعة: أن متابع المؤذن له أن يقتصر على ما جاء في الحديث، من القول مثل ما يقول المؤذن إلا في الحيعلتين، غير أن الأكمل أن يأتي بالسنن جميعها عند سماع المؤذن، وهي:

أولًا: القول مثل ما يقول، إلا في الحيعلتين، فيقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، كما في حديث عمر رضي الله عنه.

ثانيًا: أن يقول بعد متابعة المؤذن في الشهادتين: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًّا وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا)؛ فمن قالها غُفر له ذنبه[(٤)].

ثالثًا: يصلي على النبي ﷺ بعد فراغه من متابعة المؤذن؛ فإنه من صلى عليه صلاةً صلى الله عليه

---

(١)صحيح مسلم (٣٨٥).

(٢)شرح النووي على مسلم (٤/ ٨٧).

(٣)إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٢٥٣).

(٤)أخرجه مسلم (٣٨٦) عن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه.

بها عشرًا.

رابعًا: يقول بعد صلاته على النبي ﷺ: (اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته)(١)؛ فمن قالها حلت له شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة.

خامسًا: يدعو بعد ذلك بما شاء؛ فقد قال أحد الصحابة: يا رسول الله، إن المؤذنين يفضلوننا، فقال: رسول الله ﷺ: (قل: كما يقولون، فإذا انتهيت فَسَلْ تُعْطَهْ)(٢).

قال ابن القيم: فهذه خمس وعشرون سنةً في اليوم والليلة لا يحافظ عليها إلا السابقون(٣).

الخامسة: جوَّز بعض العلماء متابعة المؤذن في صلاة النافلة(٤)؛ لأن هذا يعرض للإنسان كثيرًا، ومتابعة المؤذن لا تعدو أن تكون ذِكرًا لله تعالى. غير أنه لا يقول: الصلاة خير من النوم، ولا الحَيْعَلتين؛ لأنها كخطاب الآدميين، وإنما يجيب بالحوقلة.

السادسة: الحث على الإخلاص؛ لقوله ﷺ: (من قلبه).

الحديث الثالث

عَنْ حُمْرَانَ، مَوْلَى عُثْمَانَ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «دَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ». ثُمَّ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)** أخرجاه(٥)، وفي روايةٍ للبخاري:

---

(١)أخرجه البخاري (٦١٤) عن جابرٍ ﷺ. قال ابن حجرٍ في التلخيص الحبير (١/ ٣٧٦): «وليس في شيءٍ من طرقه ذكر: الدرجة الرفيعة».

(٢)أخرجه أبو داود (٥٢٤) عن عبد الله بن عمروٍ ﷺ، وحسنه ابن كثيرٍ في الأحكام الكبير (٢٠١/١) وابن حجرٍ في نتائج الأفكار (٣٦٨/١).

(٣)جلاء الأفهام (ص٣٧٤) أي أن الأذان يتكرر في اليوم والليلة خمس مرات، ومتابعة المؤذن فيها خمس سنن.

(٤)وهو مذهب المالكية، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية ولو في الفريضة. شرح مختصر خليل للخرشي (١/ ٢٣٤) روضة الطالبين (١/ ٢٠٣) الإنصاف (٣/ ١٠٨) اختيارات شيخ الإسلام د. عايض الحارثي (٣٢٧/٢) قال في بدائع الصنائع (١/ ١٥٥): «إذا قال المؤذن: الصلاة خير من النوم، لا يعيده السامع، ولكنه يقول: صدقتَ وبررتَ، أو ما يؤجر عليه» وقال السعدي في شرح عمدة الأحكام (ص١٣٥): «والظاهر أن قول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ قياسًا على الحيعلة، أولى؛ لأنه كما قالوا: تثويب؛ أي: رجوع إلى الدعوة إلى الصلاة مرةً بعد الأخرى».

(٥)صحيح البخاري (١٥٩) (١٦٤) صحيح مسلم (٢٢٦).

«ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ».

فيه مسائل:

الأولى: يستحضر من يريد الوضوء امتثالَ قوله جل اسمه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ}، قال ابن أبي زيدٍ القيرواني في الرسالة[1]: «ويجب عليه أن يعمل الوضوءَ احتسابًا لله تعالى لِما أمره به؛ يرجو تقبله وثوابه، وتطهيره من الذنوب به، ويُشعِرُ نَفسَه أن ذلك تأهُّبٌ وتنظُّفٌ لمناجاة ربه والوقوف بين يديه لأداء فرائضه، والخضوعِ له بالركوع والسجود، فيعمل على يقينٍ بذلك، وتحفُّظٍ فيه؛ فإن تمام كلِ عملٍ بحسن النية فيه».

الثانية: دل مجموع الأحاديث الواردة في صفة الوضوء أن المتوضئ بعد التسوك، والنية، والتسمية يبدأ بغسل كفيه، ثم يمضمض ويستنشق باليمنى، ثم يستنثر باليسرى، ثم يغسل وجهه، ثم يديه من أطراف الأصابع إلى المرفقين، مبتدئًا باليمنى، ثم يمسح رأسه بيديه، يبدأ بمقدم رأسه حتى يذهب بهما إلى قفاه، ثم يردهما إلى المكان الذي بدأ منه، ثم يُدخل سباحتيه في أذنيه، ويمسح بإبهاميه ظاهر أذنيه، ثم يغسل رجليه إلى الكعبين، مبتدئًا باليمنى، والأفضل غسل كلِّ عضوٍ ثلاثًا.

الثالثة: من سنن الوضوء: إمرار اليد على أعضاء الوضوء، والزيادة في ماء الوجه، والمبالغة في المضمضة والاستنشاق، وتخليل اللحية والأصابع؛ قال النبي ﷺ: (أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا)[2].

الرابعة: قال ابن القيم: تأمل محاسن الوضوء بين يدي الصلاة، وما تضمنه من النظافة، ومجانبة الأوساخ، وتأمل كيف وضعه على الأعضاء الأربعة التي هي آلة البطش والمشي، ومجمع الحواس التي تَعَلَّق أكثر الذنوب والخطايا بها، ولهذا خصها النبي ﷺ بالذكر في قوله: (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك ولا محالة، فالعين تزني وزناها النظر، والأذن تزني وزناها الاستماع، واليد تزني وزناها البطش، والرِّجل تزني وزناها المشي...) فلما كانت هذه الأعضاء هي أكثر الأعضاء مباشرةً للمعاصي كان وسخ الذنوب ألصق بها من غيرها، فَشَرَع أحكم الحاكمين الوضوء عليها؛ ليتضمن نظافتها وطهارتها من الأوساخ الحسية وأوساخ الذنوب والمعاصي، فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين ورحمته أن شرع الوضوء على هذه الأعضاء التي هي أكثر الأعضاء مباشرةً

---

(١)(ص١٨).

(٢)أخرجه أبو داود (١٤٢) والترمذي (٧٨٨) عن لقِيطِ بْنِ صَبْرَةَ رضي الله عنه، وقال الترمذي: حسن صحيح.

للمعاصي، وهي الأعضاء الظاهرة البارزة للغبار والوسخ أيضًا، وهي أسهل الأعضاء غسلًا فلا يشق تكرار غسلها في اليوم والليلة، فكانت الحكمة الباهرة في شرع الوضوء عليها دون سائر الأعضاء، وقد نبه سبحانه عباده على هذا، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} إلى قوله: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} فأخبر سبحانه أنه لم يأمرهم بذلك حرجًا عليهم وتضييقًا ومشقةً، ولكن إرادة تطهيرهم، وإتمامَ نعمته عليهم؛ ليشكروه على ذلك، فله الحمد كما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله[(١)].

الخامسة: قال النبي ﷺ: (ما منكم من أحدٍ يتوضأ فَيُبْلِغُ- أَوْ فَيُسْبِغُ- الوُضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء)[(٢)].

وقال أبو سعيدٍ الخدري: «من توضأ، فقال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، كُتب في رَقٍّ، ثم طُبع بطابعٍ، فلم يُكسر إلى يوم القيامة»[(٣)].

السادسة: يسن بتأكدٍ لمن توضأ أن يصلي بعد وضوئه ركعتين؛ لهذا الحديث، ولحديث بِلاَلٍ الآتي، مع مجاهدة النفس في حضور القلب، والبعد عن حديث النفس.

الحديث الرابع

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ، قيل لأنسٍ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: يُجْزِئُ أَحَدَنَا الوُضُوءُ مَا لَمْ يُحْدِثْ» أخرجه البخاري[(٤)].

فيه مسائل:

الأولى: يسن تجديد الوضوء إذا كان المتوضئ أدَّى بالوضوء الأول صلاةً؛ لهذا الحديث، ولقول النبي ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ بِوُضُوءٍ، أَوْ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ بِسِوَاكٍ، وَلَأَخَّرْتُ عِشَاءَ الْآخِرَةِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ»[(٥)]، ولقول عَبْد اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُمِرَ

---

(١)مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣).

(٢)أخرجه مسلم (٢٣٤) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣)أخرجه النسائي في الكبرى (٩٨٣٠) وصححه ابن حجر في التلخيص الحبير (١/١٧٧) وقال: فهذا مما لا مجال للرأي فيه، فله حكم الرفع.

(٤)صحيح البخاري (٢١٤).

(٥)أخرجه أحمد (٧٥١٣) وقال المنذري ومحققو المسند: إسناده حسن. الترغيب والترهيب (١/ ٩٨) وقال ابن الملقن في البدر المنير (١/ ٦٩٩): إسناده صحيح. والحديث عندهما وعند المجد في المنتقى وفي مجمع الزوائد وبعض نسخ المسند بلفظ: «ومع».

بِالْوُضُوءِ لِكُلِّ صَلَاةٍ، طَاهِرًا وَغَيْرَ طَاهِرٍ، فَلَمَّا شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ أُمِرَ بِالسِّوَاكِ لِكُلِّ صَلَاةٍ، فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَرَى أَنَّ بِهِ قُوَّةً، فَكَانَ لَا يَدَعُ الْوُضُوءَ لِكُلِّ صَلَاةٍ»(١).

الثانية: في الوضوء فضائلُ عظيمةٌ، قال النبي ﷺ: (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ)(٢)، وقال ﷺ: (إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ) وتقدم حديث: (...إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية...) وسيأتي حديث عمرو بن عَبَسة رضي الله عنه.

الثالثة: يندب للمؤمن المحافظة على الوضوء؛ قال النبي ﷺ: (سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْمَلُوا، وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ)(٣)، وقَال ﷺ لِبلَالٍ: (بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟) قَالَ: مَا أَحْدَثْتُ إِلَّا تَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ ﷺ: (بِهَذَا)(٤)، فيجْملُ بطالب الحق، الراغب في الأجر أن يحرص على تجديد الوضوء لكل مفروضةٍ، بل وديمومة الوضوء على كل حالٍ؛ تحصيلًا لهذه الفضائل، قال العراقي: في حديث بلالٍ استحباب دوام الطهارة، وأنه يستحب الوضوء عقب الحدث، وإن لم يكن وقت صلاةٍ ولم يرد الصلاة، وهو المراد بقوله ﷺ: (ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) فالظاهر أن المراد منه دوام الوضوء، لا الوضوء الواجب فقط عند الصلاة(٥).اهـ واستحباب الوضوء عندم النوم شاهدٌ على استحباب الديمومة على الوضوء، ولأن المؤمن يندب له أن يذكر الله على حالٍ، والأكمل أن يكون الذاكر متطهرًا.

الرابعة: يتأكد الاقتصاد في ماء الطهارة، قال أنس: «كان النبي ﷺ يتوضأ بالمد، ويغتسل بالصاع، إلى خمسة أمدادٍ»(٦)، وقال ابن قاسمٍ: وأجمعوا على النهي عن الإسراف في ماء الوضوء والغسل، ولو على شاطئ النهر(٧).

الحديث الخامس

---

(١)أخرجه أبو داود (٤٨) وقال في التلخيص الحبير (٣/ ٢٥٨): إسناده حسن، وقال في البدر المنير (٧/ ٤٣٦): حديث صحيح.

(٢)أخرجه مسلم (٢٤٥) عن عثمان رضي الله عنه. قال النووي في شرح مسلم (٦/ ١٤٦): ومعنى إحسانه الإتيان به ثلاثًا ثلاثًا، ودلك الأعضاء، وتقديم الميامن، والإتيان بسننه المشهورة.

(٣)أخرجه أحمد (٢٢٤٣٣) عن ثوبان رضي الله عنه، وصححه ابن عبد الهادي وابن حجرٍ. تنقيح التحقيق (٤/ ٢٨٥) فتح الباري (٤/ ١٠٨).

(٤)أخرجه أحمد (٢٢٩٩٦) وصححه الترمذي (٣٦٨٩) وابن حبان (٧٠٨٦) عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه.

(٥)طرح التثريب (٢/ ٥٩).

(٦)أخرجه البخاري (٢٠١) ومسلم (٣٢٥) عن أنسٍ رضي الله عنه.

(٧)حاشية الروض المربع (١/ ٢٩٢).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مِنْهُ تَعَاهُدًا عَلَى رَكْعَتَيِ الفَجْرِ» أخرجاه[١].

الحديث السادس

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **(رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)** أخرجه مسلم، وفي روايةٍ: **(لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا)**[٢].

فيهما مسائل:

الأولى: أن النبي ﷺ كان يتعاهد النوافل ويحافظ عليها، لكن راتبة الفجر أكثر تعاهدًا، وقد اجتمع في هذه الراتبة القول منه ﷺ في الترغيب فيها، والفعل منه ﷺ في المحافظة عليها، ولهذا كان النبي ﷺ لا يدعها حضرًا ولا سفرًا[٣].

الثانية: يسُنُّ تخفيفهما؛ لقول عائشة: «كان النبي ﷺ يخفف الركعتين اللتين قبل صلاة الصبح، حتى إني لأقول: هل قرأ بأم الكتاب؟»[٤].

الثالثة: يسنُّ أيضًا: أن يقرأ في الأولى بعد الفاتحة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} وفي الثانية: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}[٥]، وأحيانًا يقرأ في الأولى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}، وفي الثانية: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[٦].

الرابعة: يسنُّ أيضًا: قضاؤها إذا فاتت؛ فقد نام النبي ﷺ هو وأصحابه عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس، ثم صلى سجدتين، ثم أقيمت الصلاة[٧].

الحديث السابع

عَنْ سَبْرَةَ بنِ معبدٍ الجُهني، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صَلَّى أحدُكم، فليستترْ لصلاتِه، ولو

---

(١)صحيح البخاري (١١٦٩) صحيح مسلم (٧٢٤).

(٢)صحيح مسلم (٧٢٥).

(٣)زاد المعاد (١/ ٤٥٦).

(٤)أخرجه البخاري (١١٧١) صحيح مسلم (٧٢٤).

(٥)أخرجه مسلم (٧٢٦) أبي هريرة ﷺ.

(٦)أخرجه مسلم (٧٢٧) عن ابن عباسٍ ﷺ. ووقع في روايةٍ أخرى أنه قرأ في الثانية: {قل يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ} الآية، والرواية الأولى أقوى. انظر: تسهيل الفقه (٤/٢١٦) فقه عمل اليوم والليلة (ص٢٥).

(٧) أخرجه مسلم (٦٨١) عن أبي قتادة ﷺ.

بِسهمٍ» أخرجه أحمد[1].

الحديث الثامن

عن أبي سعيدٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلَّى أحدُكم فليصلِّ إلى سترةٍ، وليَدْنُ منها» أخرجه أبو داود وابن ماجه[2].

الحديث التاسع

عن سهل بن أبي حَثْمةَ، يبلغُ به النبيَّ ﷺ قال: «إذا صلَّى أحدُكم إلى سُتْرةٍ فليَدْنُ منها، لا يقطعُ الشَيطانُ عليه صلاتَه» أخرجه أبو داود والنسائي[3].

في هذه الأحاديث مسائل:

الأولى: يسن لكل مصلٍ – سوى المأموم– أن يصلي إلى سترةٍ.

الثانية: طول السهم ذراعٌ، وعرضه قدر أصبعٍ، والذراع: من المرفق إلى أطراف الأصابع[4].

الثالثة: قال الإمام أحمد: وما كان أعرض فهو أعجب إليَّ؛ وذلك لأن قوله: «ولو بسهمٍ» يدل على أن غيره أولى منه[5].

الرابعة: يسن للمصلي أن يدنو من السترة.

الخامسة: أن السترة تمنع استيلاء الشيطان على المصلي، وتمكُّنه من قلبه بالوسوسة، إما كُلًّا أو بعضًا بحسب صدق المصلي وإقباله في صلاته على الله تعالى، وأن عدمها يُمكِّن الشيطان من إزلاله عمَّا هو بصدده من الخشوع والخضوع وتدبره القراءة والذكر. قال القاري: فانظر إلى متابعة السنة، وما يترتب عليها من الفوائد الجمة[6].

الحديث العاشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **(أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا،**

---

(١)مسند أحمد (١٥٣٤٠) وأخرجه الحاكم (١/ ٣٨٢) وقال: «على شرط مسلمٍ» وأقره الذهبي، وقال البغوي في شرح السنة (٢/ ٤٠٣): «حسن».

(٢)سنن أبي داود (٦٩٨) سنن ابن ماجه (٩٥٤) قال في خلاصة الأحكام (١/٥١٨): «إسناده صحيح».

(٣)سنن أبي داود (٦٩٥) سنن النسائي (٧٤٨) وفي فتح الباري لابن رجب (٤/ ٢٧): «قال العقيلي: حديث سهلٍ هذا ثابت. وقال الميموني: قلت لأبي عبد الله– يعني: أحمد–: كيف إسناد حديث النبي ﷺ: «إذا صلى أحدكم فليدن من سترته؟» قال: صالح، ليس بإسناده بأس».

(٤)عمدة القاري (٤/ ٢٧٧) المصباح المنير (١/ ٢٠٧).

(٥)المغني (٢/ ١٧٥).

(٦)مرقاة المفاتيح (٢/ ٦٤٦).

وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟) قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: (إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ) أخرجه مسلم(١).

فيه مسائل:

الأولى: قال ابن عبد البر: «هذا الحديث من أحسن ما يروى عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال»(٢).

الثانية: إسباغ الوضوء: إتمامه وإكماله، والمكاره: مِن الكُره، المشقة والألم، ومنها: البَرْد، وإعواز الماء، والحاجة إلى طلبه، أو ابتياعه بالثمن الغالي(٣).

الثالثة: في الخطا إلى المساجد فضائل كبيرة:

قال النبي ﷺ: (أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى)(٤).

وقال ﷺ: (كُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ).

وفي حديث اختصام الملأ الأعلى أن الله تعالى قَالَ: (يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَالجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ)(٥).

بل من فضل الله أن الرجوع من المسجد يكتب لصاحبه، قال أُبي بن كعبٍ: كان رجل لا أعلم رجلًا أبعد من المسجد منه، وكان لا تُخطِئه صلاةٌ، قال: فقيل له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء وفي الرمضاء، قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال رسول الله ﷺ: (قد جمع الله لك ذلك كله)(٦)، وقَالَ ﷺ: (إِذَا تَطَهَّرَ الرَّجُلُ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ يَرْعَى الصَّلَاةَ، كَتَبَ لَهُ كَاتِبَاهُ- أَوْ كَاتِبُهُ- بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الْمَسْجِدِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَالْقَاعِدُ يَرْعَى الصَّلَاةَ كَالْقَانِتِ، وَيُكْتَبُ مِنَ

---

(١)صحيح مسلم (٢٥١) مما يدل على عظيم فضل الرباط ما في صحيح مسلم (١٩١٣) عن سلمان، عن النبي ﷺ أنه قال: (رباط يومٍ وليلةٍ خير من صيام شهرٍ وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأُجري عليه رزقه، وأُمِّن الفتّان).

(٢)التمهيد (٢٠/ ٢٢٢).

(٣)الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٧٤٣).

(٤)صحيح البخاري (٦٥١) صحيح مسلم (٦٦٢) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٥)أخرجه الترمذي (٣٢٣٥) عَنْ مُعَاذِ بن جبلٍ رضي الله عنه، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ هَذَا الحَدِيثِ، فَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٦)أخرجه مسلم (٦٦٣).

الْمُصَلِّينَ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ)(١).

وجاء في فضل المشي إلى الجمعة قولُه ﷺ: (من غسَّل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكَّر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوةٍ عمل سنةٍ، أجر صيامها وقيامها»(٢).

الرابعة: في انتظار الصلاة بعد الصلاة فضائلُ عظيمةٌ:

قال النبي ﷺ: (منتظر الصلاة من بعد الصلاة، كفارسٍ اشتد به فرسه في سبيل الله على كَشْحه، تصلي عليه ملائكة الله، ما لم يحدث أو يقوم، وهو في الرباط الأكبر)(٣).

وقال عبد الله بن عمروٍ: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب، فرجع من رجع، وعقَّب من عقَّب، فجاء رسول الله ﷺ مسرعًا، قد حَفَزه النَّفَس، وقد حَسَرَ عن ركبتيه، فقال: (أبشروا، هذا ربكم قد فتح بابًا من أبواب السماء، يباهي بكم الملائكة، يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضةً، وهم ينتظرون أخرى)(٤).

وقال ﷺ: (ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر، إلا تبشبش الله إليه كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم، إذا قدم عليهم)(٥).

قال ابن رجب: «من حبس نفسه في المساجد على الطاعة، فهو مرابط لها في سبيل الله، مخالف

---

(١)أخرجه أحمد (١٧٤٤٠) عَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ﷺ، وصححه ابن خزيمة (١٤٩٢) وابن حبان (٢٠٤٥) والحاكم (٧٦٦) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٢٩) وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: «على شرط مسلمٍ» وقال في المهذب في اختصار السنن الكبير (٢/ ٩٤٤): إسناده صالح. وفي طرح التثريب (٢/ ٣٠١): والجمع بينه وبين ما جاء أن الخطوة يكتب بها حسنة أن المراد حسنة مضاعفة. قال السندي: قوله: يَرْعَى الصلاة، أي: يريدها.

(٢)أخرجه أبو داود (٣٤٥) وغيره، ونقل الطبراني في الكبير (١/ ٢١٥) عن أبي عمرو الأوزاعي قوله: «ثبت الحديث أن له بكل قدمٍ عمل سنةٍ» وقال أبو زرعة العراقي: «لا أعلم حديثًا كثير الثواب مع قلة العمل أصح من حديث: «من بكر وابتكر، وغسل واغتسل» فتح المغيث (٤/ ١٨٣) وقال العقيلي في الضعفاء الكبير (٢/ ٢١٠): «إسناده صالح» وقال في تحفة المحتاج (١/ ٥١١): «صححه ابن حبان وابن السكن والحاكم على شرط الشيخين» وقال في خلاصة الأحكام (٢/ ٧٧٥): «أسانيده حسنة».

(٣)أخرجه أحمد (٨٦٢٥) عن أبي هريرة ﷺ، وقال المنذري: إسناده صالح، الترغيب والترهيب (١/ ١٧٣) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٠٨) وقال محققو المسند: إسناده حسن. وقوله: (على كشحه) قال السندي: الكشح: الخصر.

(٤)أخرجه أحمد (٦٧٥٠) وابن ماجه (٨٠١) وقال مغلطاي والعراقي: إسناده صحيح. شرح سنن ابن ماجه (ص ١٣٤٤) طرح التثريب (٢/ ٣٦٦) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٠٧).

(٥)أخرجه أحمد (٨٣٥٠) وابن ماجه (٨٠٠) عن أبي هريرة ﷺ، وصححه ابن خزيمة (٣٥٩) وابن حبان (٢٢٧٨) والحاكم (٧٧١) وقال الذهبي في تلخيصه: «على شرطهما» وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٠٢): إسناده صحيح.

لهواها، وذلك من أفضل أنواع الصبر والجهاد»[١].

الخامسة: يدخل في الجلوس في المساجد، الجلوس لقراءة القرآن وللذكر وسماع العلم وتعليمه، ونحو ذلك[٢]، وقد قال النبي ﷺ: (ما اجتمع قوم في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)[٣].

ولذا من عزم على حضور مجلس ذكرٍ بعد المغرب مثلًا، فليحرص على صلاة المغرب في ذلك المسجد الذي سيقام فيه مجلس العلم، منتظرًا صلاة العشاء؛ فيحصل له أجر الرباط، وأجر مجالس الذكر، وأجر الجلوس في المسجد، قال النبي ﷺ: (من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلِّمه، كان له كأجر حاجٍّ تامًّا حجته)[٤].

السادسة: قال الغزالي: يتضاعف الفضل بكثرة النيات الحسنة؛ فالطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيراتٍ كثيرةً فيكون له بكل نيةٍ ثوابٌ؛ إذ كل واحدةٍ منها حسنةٌ، ثم تُضاعف كل حسنةٍ عشرَ أمثالها، ومثال ذلك: القعود في المسجد، فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نياتٍ كثيرةً حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين:

منها: أن يعتقد أنه بيت الله، وأن داخلَه زائر الله، قال عمرو بن ميمون الأَودي: أخبرنا أصحاب رسول الله ﷺ: «أن المساجد بيوت الله في الأرض، وإنه لحقٌّ على الله أن يكرم من زاره فيها»[٥].

ومنها: أن ينوى انتظار الصلاة.

ومنها: الاعتكاف، والتعبد بكفِّ السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات.

ومنها: عكوف الهمِّ على الله، ولزوم التفكر في الآخرة، ودفع الشواغل الصارفة عنه بالانقطاع إلى المسجد.

---

(١)اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص٧١).

(٢)اختيار الأولى (ص٦٨).

(٣)أخرجه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤)أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧٤٧٣) عن أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه الحاكم (٣١١) وقال الذهبي في تلخيصه: على شرط البخاري، وقال العراقي: إسناده جيد. تخريج أحاديث الإحياء (٦/ ٢٣٩٧) وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩): إسناده لا بأس به، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٢٣): رجاله موثقون كلهم، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٠): حسن صحيح.

(٥)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٦٨٢) وقال المنذري والعراقي والألباني: إسناده صحيح. الترغيب والترهيب (١/١٣٥) المغني عن حمل الأسفار (ص١٨٠) السلسلة الصحيحة (٣/ ١٥٨).

ومنها: التجرد لذكر الله أو لاستماع لذكره وللتذكر به.

ومنها: أن يترك الذنوب حياءً من الله تعالى وحياءً من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة.

فهذا طريق تكثير النيات، وقِسْ به سائر الطاعات؛ إذ ما من طاعةٍ إلا وتحتمل نياتٍ كثيرةً، وإنما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جِدِّه في طلب الخير وتشمُّرِه له، فبهذا تزكوا الأعمال وتتضاعف الحسنات(١).

السابعة: لما كانت الصلاة من شعائر الإسلام العظام، وهي خير الأعمال وأحبُّها إلى الله، كثر ثواب الوسائل إليها: الأذانُ، والوضوء، والخطا إليها، وانتظارها.

الحديث الحادي عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **(إِذَا سَمِعْتُمُ الإِقَامَةَ، فَامْشُوا إِلَى الصَّلاَةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالوَقَارِ، وَلاَ تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا)** أخرجاه(٢).

فيه مسائل:

الأولى: أن الإقامة تسمع من خارج المسجد.

الثانية: الندب الأكيد إلى إتيان الصلاة بسكينةٍ ووقارٍ، والنهي عن إتيانها مسرعًا، وسواء فيه صلاة الجمعة وغيرها.

الثالثة: قوله ﷺ: (إذا أقيمت الصلاة) إنما ذكر الإقامة للتنبيه بها على ما سواها؛ لأنه إذا نهي عن إتيانها مسرعًا في حال الإقامة مع خوف فوت بعض الصلاة، فقبل الإقامة أولى.

الرابعة: السكينة: التأني في الحركات واجتناب العبث ونحو ذلك، والوقار: في الهيئة وغض البصر وخفض الصوت والإقبال على طريقه بغير التفاتٍ، ونحو ذلك(٣).

الخامسة: المعنى في نهي قاصدِ الصلاة عن الإسراعِ وأمرِه بالمشي بسكينةٍ أمورٌ:

أحدها: قوله ﷺ في روايةٍ لمسلمٍ: (فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاةٍ)؛ فأشار بذلك إلى أنه ينبغي أن يتأدب بآداب الصلاة من الخشوع وسكون الأعضاء وترك العجلة.

---

(١)إحياء علوم الدين (٤/ ٣٧٠) بتصرفٍ، وإضافةٍ لأثر عمرو بن ميمون.

(٢)صحيح البخاري (٦٣٦) صحيح مسلم (٦٠٢).

(٣)شرح النووي على مسلم (٥/ ١٠٠).

الثاني: تكثير الخطا؛ لقول أنس بن مالكٍ: «كنت أمشي مع زيد بن ثابتٍ، فقارب في الخطا، فقال: أتدري لم مشيت بك هذه المشية؟ فقلت لا، فقال: لتكثر خطانا في المشي إلى الصلاة»(١)، وقال ابن مسعودٍ: «لقد رأيتنا وإنا لنقارب بين الخطا إلى الصلاة»(٢).

الثالث: أنه إذا أسرع فاته الخشوع والوقار.

السادسة: أن من أتى إلى المسجد فإنه يؤمر بالدخول مع الإمام على أيّ حالٍ وُجِد عليها؛ لقوله ﷺ: (فما أدركتم فصلوا).

الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**) أخرجاه(٣).

فيه مسائل:

الأولى: الحديث دليل على شرف الأذان وفضله، واستحباب المنافسة فيه لأكابر الناس وأعيانهم، وقد قال النبي ﷺ: (الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(٤)، وقال ﷺ: (لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ، جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ)(٥)، وقال ﷺ: (الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ، وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ)(٦).

الثانية: الفضل الكبير والثواب العظيم لأصحاب الصف الأول، ويدل لفضله أيضًا:

قوله ﷺ: (إنَّ الصفَّ الأوّلَ على مِثلِ صَفِّ الملائكة، ولو عَلِمتُم ما فضيلتُه لابتَدَرتُموهُ)(٧).

وقوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ)(٨).

---

(١)أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٧٩٦) وقال في طرح التثريب (٢/٣٥٨): «إسناده صحيح».

(٢)أخرجه ابن أبي شيبة (٢٧٤٠٥).

(٣)صحيح البخاري (٦١٥) صحيح مسلم (٤٣٧).

(٤)أخرجه مسلم (٣٨٧) عن معاوية ﷺ.

(٥)أخرجه البخاري (٦٠٩) عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ ﷺ.

(٦)أخرجه أبو داود (٥١٥) عن أبي هريرة ﷺ، وصححه ابن خزيمة (٣٩٠) وابن حبان (١٦٦٦).

(٧)أخرجه أبو داود (٥٥٤) قال الحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٨): «وقد حكم أئمة الحديث، يحيى بن معين، وعلي بن المديني، ومحمد بن يحيى الذهلي، وغيرهم لهذا الحديث بالصحة» وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٢/ ٥٥): «وصححه ابن السكن، والعقيلي، والحاكم ... ، وقال النووي: أشار علي بن المديني إلى صحته».

(٨)أخرجه أبو داود (٦٦٤) عن البراء بن عازبٍ ﷺ، وصححه العقيلي في الضعفاء الكبير (٤/ ٨٦) وابن خزيمة (١٥٥١) وابن حبان (٢١٥٧) والحاكم (٢٠٩٩).

وقوله ﷺ: (خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا)(١).

و«كَانَ ﷺ يُصَلِّي عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ ثَلَاثًا، وَعَلَى الثَّانِي وَاحِدَةً»(٢).

الثالثة: فضيلة التبكير إلى الصلاة، وهو المراد بالتهجير؛ إذ به يدرك الصف الأول، وتكبيرة الأحرام، ويطول وقت انتظار الصلاة. قال ابن رجبٍ: كان كثير من السلف يأتي المسجد قبل الأذان، وجاء عن بعضهم في قول الله تعالى: {السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}: إنهم أول الناس خروجاً إلى المسجد وإلى الجهاد. وفي قوله: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} قال مكحول: التكبيرة الأولى مع الإمام. وقال غيره: التكبيرة الأولى والصف الأول(٣).

الرابعة: فيه الحث العظيم على حضور العشاء والفجر في الجماعة، وبيان الفضل الكثير في ذلك؛ لِما فيهما من المشقة على النفس، ولهذا كانتا أثقل الصلاة على المنافقين(٤).

الخامسة: إبهام الأجر على هذه العبادات العظيمة يدل على عظيم الثواب وكثرته.

السادسة: هذه الفضائل تدل على عظيم شأن الصلاة.

الحديث الثالث عشر

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ، أنه قال: يَا نَبِيَّ اللهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: (**صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ؛ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ؛ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ**) قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ فَالْوُضُوءَ حَدِّثْنِي عَنْهُ، قَالَ: (**مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ**

---

(١)أخرجه مسلم (٤٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢)أخرجه النسائي (٨١٧) عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، وصححه ابن خزيمة (١٥٥٨) وابن حبان (٢١٥٨) والحاكم (٧٧٦) وقال الذهبي في تلخيصه: على شرطهما.

(٣) فتح الباري لابن رجب (٥/ ٣٥٢).

(٤)شرح النووي على مسلم (٤/ ١٥٨).

الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) أخرجه مسلم[١].

فيه مسائل:

الأولى: بيان أوقات النهي الثلاثة.

الثانية: أن النهي في الوقت الأول يكون بعد صلاة الفجر- لا بعد طلوع الفجر- إلى أن ترتفع الشمس.

الثالثة: أن صلاة الضحى لا حدَّ لأكثرها.

الرابعة: المراد بقرني الشيطان: ناحيتي رأسه، ومعناه أنه يدني رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات؛ ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة[٢].

الخامسة: قوله ﷺ: (فإن الصلاة مشهودة محضورة) أي تحضرها الملائكة، فهي أقرب إلى القبول وحصول الرحمة[٣].

السادسة: قوله: (حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ) كناية عن عدم بقاء ظل الرمح على الأرض، وذلك يكون في وقت الاستواء، وتخصيص الرمح بالذكر؛ لأن العرب كانوا إذا أرادوا معرفة الوقت ركزوا رماحهم في الأرض ثم نظروا إلى ظلها[٤].

السابعة: الندب إلى إحياء ما بين الظهرين بالصلاة، وكان ابن عمر يُحيي ما بين الظهر والعصر[٥].

الثامنة: أن النهي عن الصلاة بعد العصر متعلق بالصلاة، لا بوقتها، فلو جُمعت جمع تقديمٍ دخل النهي في حقِّ من جمع.

التاسعة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: المؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالى، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوع الشمس وغروبها بين قرني شيطان، ولا أن الكفار يسجدون لها، ثم إنه ﷺ نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسمًا لمادة مشابهة الكفار بكل طريقٍ[١].

---

(١)صحيح مسلم (٨٣٢).

(٢)شرح النووي على مسلم (٦/ ١١٢).

(٣)شرح النووي على مسلم (٦/ ١١٦).

(٤)مرقاة المفاتيح (٢/ ٨٢٢).

(٥)أخرجه ابن أبي شيبة (٥٩٣٧) وصححه زكريا الباكستاني. ما صح من آثار الصحابة في الفقه (١/ ٤٢٥).

العاشرة: في الحديث الفضل العظيم للوضوء وحطِّه للسيئات.

الحادية عشرة: فضيلة من فرَّغ قلبه لله في صلاته.

الحديث الرابع عشر

عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ**)، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: (**لِمَنْ شَاءَ**) أخرجاه[٢].

فيه مسائل:

الأولى: لا خلاف بين العلماء أن المراد بالأذانين في الحديث: الأذان والإقامة[٣].

الثانية: كرّر النبي ﷺ هذا القول تأكيدًا للحث على التنفل بالصلاة بين الأذان والإقامة، وذلك لأمورٍ[٤]:

أحدها: أن الدعاء لا يُرَدّ بين الأذان والإقامة؛ لشرف ذلك الوقت، والدعاء في الصلاة أرجى للإجابة خاصةً في السجود، قال ﷺ: (وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقَمِنٌ أن يُستجاب لكم)[٥]، وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «إنك ما دمت في صلاةٍ تقرع باب الملك، ومن يكثر قرع باب الملك يوشك أن يُفتح له»[٦].

ثانيها: قال ابن دقيق العيد: أن الإنسان يشتغل بأمور الدنيا وأسبابها، فتتكيف النفس من ذلك بحالةٍ بعيدةٍ عن حضور القلب في العبادة، والخشوع فيها، الذي هو روحها، فإذا قُدمت السنن على الفريضة تأنَّست النفس بالعبادة، وتكيفت بحالةٍ تقرب من الخشوع، فيدخل في الفرائض على حالةٍ حسنةٍ لم تكن تحصل له لو لم تُقدَّم السنة[٧].

ثالثها: أن فيه مبادرةً إلى العبادة، ومسارعة إلى الطاعة.

الثالثة: من خلال ما تقدم يظهر- والعلم عند الله تعالى- أن هذه السنة (بين كل أذانين صلاة) ليست مقصودةً لذاتها، فلو أدى راتبةً أو ركعتي وضوءٍ أو تحية مسجدٍ أجزأ، ولو نوى أكثر من صلاةٍ مما ليس مقصودًا لذاته حصل له ما نوى، قال الشيخ السعدي رحمه الله: «من دخل

---

(١)اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢١٨).

(٢)صحيح البخاري (٦٢٧) صحيح مسلم (٨٣٨).

(٣)فتح الباري لابن رجب (٥/ ٣٥٥).

(٤)المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ٥٠) فتح الباري (٢/ ١٠٩).

(٥)أخرجه مسلم (٤٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٦)أخرج ابن أبي شيبة (٨٣٥٥).

(٧)إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ١٩٩).

المسجد وقت حضور الراتبة، فصلى ركعتين، ينوي بهما الراتبة وتحية المسجد حصل له فضلهما، وكذلك لو اجتمعت معهما أو مع أحدهما سنة الوضوء أو صلاة الاستخارة، أو غيرها من ذوات الأسباب»[١].

الرابعة: قولُ النبي ﷺ: (بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ) وقوله: (الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة)[٢] فيهما دلالة على أنَّ من أفضل ما يفعل بين الأذان والإقامة هو الصلاة والاجتهاد في الدعاء فيها؛ لأن الدعاء في الصلاة– وخاصةً في السجود– حريٌ بالإجابة.

الخامسة: أنه ينبغي التراخي بين الأذان والإقامة؛ ليتمكن من يريد الصلاة من الصلاة، ولا يخرج بهذا عن كون الصلاة في أول وقتها.

الحديث الخامس عشر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ المُزَنِيُّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(صَلُّوا قَبْلَ صَلاَةِ المَغْرِبِ، صَلُّوا قَبْلَ صَلاَةِ المَغْرِبِ، صَلُّوا قَبْلَ صَلاَةِ المَغْرِبِ)** قَالَ: فِي الثَّالِثَةِ: **(لِمَنْ شَاءَ)** كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتَّخِذَهَا النَّاسُ سُنَّةً. أخرجه البخاري[٣].

فيه مسائل:

الأولى: المراد بالحديث الصلاة بين الأذان والإقامة لصلاة المغرب، وهي داخلة في قوله ﷺ: (بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ) وفي هذا الحديث ذكَرَ النبي ﷺ المغرب على الخصوص، وكرر ذلك ثلاثًا؛ حضًّا وتحريضاً على الاهتمام بذلك.

الثانية: قال أنس بن مالك: «لقد رأيت كبار أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب»[٤]، وقال مرثد بن عبد الله اليَزَني لعقبة بن عامرٍ الجهني: ألا أُعجِّبُك من أبي تميمٍ يركع ركعتين قبل صلاة المغرب؟ فقال عقبة: «إنَّا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ»[٥].

الثالثة: قوله: «كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتَّخِذَهَا النَّاسُ سُنَّةً» أي عزيمةً لازمةً، متمسكين بقوله: (صَلُّوا) وأصل الأمر للوجوب، فتعليقه بالمشيئة؛ لدفع ذلك[١].

---

(١)القواعد والأصول الجامعة (ص٩٠).

(٢)أخرجه النسائي في الكبرى (٩٨١٢) عن أنسٍ ﷺ، وصححه ابن خزيمة (٤٢٦) وابن حبان (١٦٩٦) والألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٤١).

(٣)صحيح البخاري (١١٨٣).

(٤)أخرجه البخاري (٥٠٣).

(٥)أخرجه البخاري (١١٨٤) قال ابن حجرٍ في فتح الباري (٢/ ١٠٨): «وقد روى محمد بن نصرٍ وغيره من طرقٍ قويةٍ عن عبد الرحمن بن عوفٍ وسعد بن أبي وقاصٍ وأبي بن كعبٍ وأبي الدرداء وأبي موسى وغيرهم أنهم كانوا يواظبون عليهما».

الرابعة: لا يختص قول النبي ﷺ: (بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ) وقوله: (صَلُّوا قَبْلَ صَلاَةِ المَغْرِبِ) بمن يصلي في المسجد، بل يعُمُّ مَن يصلي في بيته من النساء والمرضى، ونحوهم.

الحديث السادس عشر

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ، تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **(مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ)** قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ عَنْبَسَةُ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنْبَسَةَ، وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ» أخرجه مسلم[٢].

فيه مسائل:

الأولى: الحديث دليل على عظم ثواب من صلى في يومٍ وليلةٍ من النوافل ثنتي عشرة ركعةً، وأن ذلك من أسباب دخول الجنة.

الثانية: من حِكَمِ شرعِ النوافل تكميل الفرائض، قال النبي ﷺ: (إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول ربنا جل وعز لملائكته- وهو أعلم-: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامةً كُتبت له تامةً، وإن كان انتقص منها شيئًا، قال: انظروا هل لعبدي من تطوعٍ؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم)[٣].

ومن حِكَمِها: أن ترتاض نفسه بتقديم النافلة ويتنشط بها ويتفرغ قلبه أكمل فراغٍ للفريضة، ولهذا يستحب أن يصلَّى بين الأذان والإقامة ما شاء، وأن تُفتتحَ صلاة الليل بركعتين خفيفتين[٤].

الثالثة: أنه يحسن من العالم ومن يُقتدى به أن يقول مثل هذا الذي قالته أم حبيبة، ولا يقصد به تزكية نفسه، بل يريد حث السامعين على التخلق بخلقه في ذلك وتحريضهم على المحافظة عليه وتنشيطهم لفعله[١].

---

(١)دليل الفالحين (٦/ ٥٩٥).

(٢)صحيح مسلم (٧٢٨).

(٣)أخرجه أبو داود (٨٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الحاكم وابن القطان. المستدرك (٩٦٥) بيان الوهم والإيهام (٥/ ٢٢٩).

(٤)شرح النووي على مسلم (٦/ ١٠).

الرابعة: فيه حرص الصحابة والسلف ﷺ على دوام العمل بما بلغهم من سنة النبي ﷺ.

الحديث السابع عشر

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَقَالَ: **(إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ)** أخرجه الترمذي، وحسَّنه ابن حجرٍ[٢].

فيه مسائل:

الأولى: كان النبي ﷺ وأصحابه يصلون أربعًا قبل صلاة الظهر، فعَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لاَ يَدَعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ»[٣]، وقال عمرو بن ميمونٍ: «لم يكن أصحاب النبي ﷺ، يتركون أربع ركعات قبل الظهر، وركعتين قبل الفجر على حالٍ»[٤].

الثانية: قال ابن القيم: «وسرُّ هذا– والله أعلم– أن انتصاف النهار مقابل لانتصاف الليل، وأبواب السماء تفتح بعد زوال الشمس، ويحصل النزول الإلهي بعد انتصاف الليل، فهما وقتا قربٍ ورحمةٍ، هذا تفتح فيه أبواب السماء، وهذا ينزل فيه الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا»[٥].

الثالثة: يسن قضاء ما فاته من الرواتب؛ فقد قضى النبي ﷺ ركعتي الفجر مع الفجر حين نام عنها[٦]، وقضى الركعتين اللتين بعد الظهر[٧]، ويقاس الباقي.

الحديث الثامن عشر

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِذَا قَضَى أَحَدُكُمُ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا)** أخرجه مسلم[٨].

فيه مسائل:

الأولى: فيه الحث على جعل نوافل الصلاة في البيوت، ويدل لذلك أيضًا:

---

(١)شرح النووي على مسلم (٦/ ٩).

(٢)جامع الترمذي (٤٧٨) نتائج الأفكار (٣/ ٦) وصححه ابن العربي في عارضة الأحوذي (١/ ٤٣٦) والألباني في مختصر الشمائل (ص١٥٧).

(٣)أخرجه البخاري (١١٨٢).

(٤)أخرجه ابن أبي شيبة (٥٩٤٤) وقال في تسهيل الفقه (٤/٢٢٠): سنده صحيح.

(٥)زاد المعاد (١/ ٢٩٩).

(٦)أخرجه مسلم (٦٨٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٧)أخرجه البخاري (١٢٣٣) ومسلم (٨٣٤) من حديث أم سلمة.

(٨)صحيح مسلم (٧٧٨).

قوله ﷺ: (إن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة)(١).

وحديث عبد الله بن سعدٍ أنه قال: سألت رسول الله ﷺ، أيما أفضل؟ الصلاة في بيتي أو الصلاة في المسجد؟ قال: (ألا ترى إلى بيتي ما أقربه من المسجد، فلأن أصلي في بيتي أحب إليَّ من أن أصلي في المسجد؛ إلا أن تكون صلاةً مكتوبةً)(٢).

وقال ﷺ: (مَثَل البيت الذي يُذكر الله فيه، والبيت الذي لا يُذكر الله فيه مَثَل الحي والميت)(٣)، ولا شك أن الصلاة من ذكر الله تعالى.

وعن ضمرة بن حبيبٍ، عن رجلٍ من أصحاب محمدٍ ﷺ قال: «تطوع الرجل في بيته يزيد على تطوعه عند الناس كفضل صلاة الجماعة على صلاة الرجل وحده»(٤).

الثانية: يتأكد ذلك في راتبة المغرب؛ لقول كعب بن عجرة: إن النبي ﷺ أتى مسجد بني عبد الأشهل، فصلى فيه المغرب، فلما قضوا صلاتهم رآهم يسبحون بعدها، فقال ﷺ: (هذه صلاة البيوت)(٥).

الثالثة: لصلاة النافلة في البيت فوائد عظيمة(٦):

أحدها: تمام الخشوع والإخلاص والبعد عن الرياء.

ثانيها: تحقيق الخيرية الموعود بها، ومن الخير: نزول الرحمة، وطرد الشيطان، وكثرة الأجر، ووجود القدوة الصالحة، وتربية أهل البيت من النساء والصغار.

ثالثها: أن فعلها في المنزل يخرج البيت عن كونه كالمقبرة.

رابعها: امتثال فعل النبي ﷺ وأمره الذي حثَّ على صلاة النافلة في البيت.

الرابعة: استحباب جعل النوافل في البيت يشمل أيضًا من كان في الحرمين؛ لحديث عبد الله بن سعدٍ المتقدم، ولعموم الأحاديث الأخرى(١).

---

(١)أخرجه البخاري (٧٣١) ومسلم (٧٨١).

(٢)أخرجه ابن ماجه (١٣٧٨) وصححه ابن خزيمة (١٢٠٢) وقال البوصيري: «إسناده صحيح رجاله ثقات، رواه ابن حبان في صحيحه» مصباح الزجاجة (٢/ ٩).

(٣)أخرجه البخاري (٦٤٠٧) ومسلم (٧٧٩) واللفظ له، عن أبي موسى ﷺ.

(٤)أخرجه عبد الرزاق (٤٨٣٥) وقال الألباني في الصحيحة (٤٢٢/٧): إسناده صحيح، وهو في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال بالرأي.اهـ وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٩٨٩) بلفظ: «فضل صلاة الرجل في بيته على صلاته، حيث يراه الناس كفضل الفريضة على التطوع» وقال المنذري: إسناده جيد، وقال الألباني: صحيح موقوف. صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٠٧).

(٥)أخرجه أبو داود (١٣٠٠) وصححه ابن خزيمة (١٢٠١) وله شاهد من حديث محمود بن لبيد عند أحمد (٢٣٦٢٤) وصححه ابن خزيمة (١٢٠٠).

(٦)منحة العلام (٣/٢٧١).

الخامسة: يستثنى من النوافل: ركعتا الطواف، والتراويح، وصلاة الكسوف، والاستسقاء، وتحية المسجد، وصلاة القدوم من السفر، ونفل المعتكف، والتنفل قبل الجمعة(٢)، فالسنة أن تكون هذه الصلوات في المسجد.

الحديث التاسع عشر

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**) أخرجه مسلم(٣).

فيه مسائل:

الأولى: المعروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع(٤).

الثانية: النهي عن احتقار شيءٍ من المعروف، وإن قل؛ قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} وقال: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ}.

الثالثة: الندب إلى إدخال السرور على المسلم، ومنه: البِشر والسرور في وجهه، قال ابن عيينة: البشاشة مصيدة المودة، والبِر شيء هيّن، وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليّن(٥).

الرابعة: إذا كان من المعروف ملاقاة أخيك بطلاقة الوجه، فكيف إذا كلمته وصافحته وصاحبته ورافقته إلى غير ذلك، من وجوه البر؟!(٦).

الخامسة: النهي عن ملاقاة أخيك بعبوسٍ وانقباضٍ.

السادسة: إذا لقي المسلم أخاه فقد يظفر – إن وفقه الله– بعدة سننٍ:

أحدها: بسط الوجه وطلاقته؛ لهذا الحديث.

ثانيها: التبسم، لقول النبي ﷺ: (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لك صَدَقَةٌ)(٧)، وقال جَرِير: «ولَا رَآنِي النبي ﷺ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي»(٨).

---

(١)قال في غاية المنتهى (١/ ١٥٢): «فنفل ببيته أفضل منه بمسجدٍ، ولو الحرام».
(٢)مطالب أولي النهى (١/ ٥٥٠) مرعاة المفاتيح (٢/ ٤٢١).
(٣)صحيح مسلم (٢٦٢٦).
(٤)النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢١٦).
(٥)فيض القدير (٣/ ٢٢٦).
(٦)الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ١٩٥).
(٧)أخرجه الترمذي (١٩٥٦) عن أبي ذر ﷺ.
(٨)أخرجه البخاري (٣٠٣٥) ومسلم (٢٤٧٥).

ثالثها: السلام؛ لقول النبي ﷺ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ) قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: (إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ...)(١).

ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كُتب له ثلاثون حسنة(٢).

رابعها: المصافحة، وإن كان قدم من سفرٍ فالمعانقة؛ لحديث: (ما مِن مُسلِمَين يلتقيانِ فيتصافحان، إلا غُفِر لهُما قبلَ أن يَفْتَرِقا)(٣)، وقال أَنس: «كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا تَلَاقَوْا تَصَافَحُوا، وَإِذَا قَدِمُوا مِنْ سَفَرٍ تَعَانَقُوا»(٤).

خامسها: الكلام الطيب؛ كالسؤال عن حال الأهل والأولاد، ونحو ذلك مما يطيّب النفس؛ لقول النبي ﷺ: (وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ). قال ابن علّان: «هي كل ذكرٍ أو دعاءٍ للنفس أو للغير، وسلامٍ عليه وردٍّ وثناءٍ بحقٍّ، ونحو ذلك مما فيه سرور واجتماع القلوب وتآلفها، وكذا سائر ما فيه معاملة الناس بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال»(٥).

وكل هذه عبادات قد تُفعَل في دقيقةٍ واحدةٍ.

الحديث العشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: **(يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى)** أخرجه مسلم(٦).

الحديث الحادي والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ**

---

(١)أخرجه مسلم (٢١٦٢).

(٢)جاء هذا في حديثٍ أخرجه أبو داود (٥١٩٥) عن عمران بن حصين ﷺ، وقال البيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٢٤٣): إسناده حسن، وقال ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٦): سنده قوي.

(٣)أخرجه أبو داود (٥٢١٢) عن البراء بن عازبٍ ﷺ.

(٤)أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٧) وقال في مجمع الزوائد (٨/ ٣٦): «رجاله رجال الصحيح» وحسَّنه الألباني. صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٢).

(٥)دليل الفالحين (٣/ ٤٦).

(٦)صحيح مسلم (٧٢٠).

يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) أخرجاه(١)، وفي روايةٍ للبخاري: (وَدَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ).

فيهما مسائل:

الأولى: السُّلامى: أصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله(٢)، وقد قال النبي ﷺ: (إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ)(٣).

الثانية: قال ابن هُبيرة: كل سلامى هبةٌ من الله عز وجل للآدمي، فإذا نظر في خلق نفسه، ورأى أنه لو قد نقص عظم واحد أو زاد لأَخَلَّ عليه حياتَه، ورأى أن ذلك كلَّه لم يكن له هو فيه صنع، وأن عظام الآدمي ما بين طِوال وقِصار، ودِقاق وغِلاظ، فلو قَصُر الطويل منها أو طال القصير أو دَقَّ الغليظ، وغلظ الدقيق لاختلَّ بذلك نفعه= تعيَّن عليه أن يشكر ربَّه شكرًا محتَّمًا، فنبه الشرع على أن يقابل هذه النعمة بما ذكره؛ إلا أنه لطف به في تسمية ذلك صدقةً مُخرجًا لها مخرج ما يثاب عليه ويؤجر فيه، ثم احتسب له بقول: سبحان الله، والحمد الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وأمرٍ بمعروفٍ ونهيٍ عن منكرٍ، ثم لطف به حتى جمع ذلك كله بأن يصلي ركعتين من الضحى على معنى أنه إذا قام فدعمته عظامه، وإذا ركع استوت له عظامه في ركوعه، وإذا سجد وجلس فحينئذٍ يذكر بهاتين الركعتين مطاوعة الأعضاء له في جميع أشغاله، فيكون بهاتين الركعتين جامعًا لشكر هذه العظام(٤).

الثالثة: هذه الأنواع التي أشار إليها النبي ﷺ من الصدقات؛ منها ما نفعه متعدٍّ؛ كالإصلاح، وإعانة الرجل على دابته، وإزالة الأذى عن الطريق، ومنها قاصر النفع؛ كالتسبيح، والتكبير، والتحميد، والتهليل، والمشي إلى الصلاة(٥)، ومنها ما هو صدقة بدنية، ومنها صدقة مالية، كقول النبي ﷺ: (إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً)(٦)، وقوله: (لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ، وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً)(٧)؛ وذلك لتكثير خصال الإحسان والخير، ويعمل المسلم بما يستطيع من هذه الصدقات. وكلُّ ذلك يشمله قوله

---

(١)صحيح البخاري (٢٩٨٩) صحيح مسلم (١٠٠٩).

(٢)شرح النووي على مسلم (٥/ ٢٣٣).

(٣)أخرجه مسلم (١٠٠٧) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤)الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ١٧٩).

(٥)جامع العلوم والحكم (٢/ ٨٦).

(٦)أخرجه البخاري (٥٣٥١) صحيح مسلم (١٠٠٢) عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ.

(٧)أخرجه مسلم (١٥٥٢) عن أُمِّ مُبَشِّرٍ الْأَنْصَارِيَّةِ رضي الله عنها.

تبارك وتعالى: {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} وقوله: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ}، وقولُ النبي ﷺ: (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ)(١).

الرابعة: الحديث دليل على عظم فضل صلاة الضحى، وكبر موقعها، وتأكيد مشروعيتها، وأنها باب عظيم من أبواب شكر الله تعالى على نعمه، ومنها نعمة البدن، وأن ركعتيها تجزئان عن ثلاثمائةٍ وستين صدقةً، قال ابن عبد البر: «وهذا أبلغ شيءٍ في فضل صلاة الضحى»(٢)، وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة.

الخامسة: أن العبادة والنوافل يداوم عليها كل يومٍ؛ لقوله ﷺ: (كل يومٍ تطلع فيه الشمس)(٣).

السادسة: يدخل في إماطة الأذى عن الطريق: كنس الطريق مما يؤذي المار، وردْمُ ما فيه من حفرٍ، وقطع شجرةٍ تكون في الطريق، وفي معناه أيضًا: توسيع الطرق التي تضيق على المارة، وإقامة من يبيع أو يشتري في وسط الطرق العامة، وكذا وضع ما ينبه المار على وجود حفريات، ونحو ذلك، وإبلا غ الجهة المسؤولة لردم الحفر ونحوها.

السابعة: قال النووي: اعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر به قِوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبثُ عمَّ العقاب الصالحَ والطالحَ، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب؛ فإن نفعه عظيمٌ، لا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته، ولا يهابَنَّ من يُنكر عليه لارتفاع مرتبته؛ فإن الله تعالى قال: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} وقال تعالى: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} وقال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} وقال تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}. واعلم أن الأجر على قدر النَّصَب. ولا يتاركه أيضًا لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه؛ فإن صداقته ومودته توجب له حرمةً وحقًّا، ومِن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومُحبُّه هو من سعى في عمارة آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته وإن حصل بسبب ذلك صورة نفعٍ في

---

(١)أخرجه البخاري (٦٠٢١) عَنْ جَابِرٍ ﷺ.

(٢)الاستذكار (٢/ ٢٦٦)

(٣)طرح التثريب (٢/ ٣٠٣).

دنياه، وإنما كان إبليس عدوا لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها، ونسأل الله الكريم توفيقنا وأحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته، وأن يعمنا بجوده ورحمته. وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يرفق؛ ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب؛ فقد قال الإمام الشافعي: من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانيةً فقد فضحه وشانه، ومما يتساهل أكثر الناس فيه من هذا الباب ما إذا رأى إنسانًا يبيع متاعًا معيبًا أو نحوه فإنهم لا ينكرون ذلك، ولا يعرِّفون المشتري بعيبه، وهذا خطأٌ ظاهرٌ، وقد نص العلماء على أنه يجب على من علم ذلك أن ينكر على البائع، وأن يُعلِم المشتري به[(١)].

الثامنة: في الحديث تنبيه بالأدنى على الأعلى؛ فإن الصلحَ بين قبيلتين أو فئتين، أو إعانةَ أسرةٍ أو جماعةٍ من الناس، أو إماطة الأذى عن القلوب بإزالة الشكوك والشبهات عنها= أجل وأعلى شأنًا، وقد قال النووي في قول النبي ﷺ: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[(٢)]: «هذا فيمَنْ كانَ في عَوْنِ واحدٍ من النَّاس، فكيفَ الظَّنُّ بمَنْ هُو في عَوْنِ المسلمين أجمعينَ؟!»[(٣)].

التاسعة: قوله: (وَدَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) هو أن يدل من لا يعرف الطريق عليها، ويدخل في ذلك وضع لوحات في الطرق، وكذا ما جَدَّ من وسائل ترشد الناس إلى مصالحهم، وجاء في فضل ذلك أيضًا قول النبي ﷺ: (من منح مِنحةَ ورِقٍ، أو هَدَى زُقاقًا، أو سقى لبنًا، كان له عدل رقبةٍ)[(٤)].

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ، أنه قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ عائشةُ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ» قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ وَلَا أَسْأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ، قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ لَا يَجْلِسُ فِيهَا إِلَّا فِي الثَّامِنَةِ، فَيَذْكُرُ اللهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَلَا يُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّ التَّاسِعَةَ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللهَ وَيَحْمَدُهُ

(١)شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٤).

(٢)أخرجه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣)تحفة الطالبين (ص ١٦٣).

(٤)أخرجه أحمد (١٨٥١٨) وصححه العقيلي في الضعفاء الكبير (٨٦/٤) قال الترمذي: قوله: (منحة ورق) إنما يعني به: قرض الدراهم، قوله: أو (هدى زقاقًا) يعني به هداية الطريق وهو إرشاد السبيل.

وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ وَهُوَ قَاعِدٌ، فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يَا بُنَيَّ، فَلَمَّا أَسَنَّ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ، وَصَنَعَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ مِثْلَ صَنِيعِهِ الْأَوَّلِ، فَتِلْكَ تِسْعٌ يَا بُنَيَّ، وَكَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَحَبَّ أَنْ يُدَاوِمَ عَلَيْهَا، وَكَانَ إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ، أَوْ وَجَعٌ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَلَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، وَلَا صَلَّى لَيْلَةً إِلَى الصُّبْحِ، وَلَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ» أخرجه مسلم(١).

فيه مسائل:

الأولى: قولها: «إِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ» معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته، فكان ﷺ عاملًا بقوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} وقوله: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} وقوله: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} وقوله: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} وقوله: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}. متجنبًا ما نهى الله عنه بنحو قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ} الآيات.

وبالجملة فكل ما ذكر الله تعالى في كتابه من مكارم الأخلاق أو ندب إليه، فإن النبي ﷺ كان متخلقًا به، وكل ما نهى الله عنه كان ﷺ لا يحوم حوله، ولذا أثنى الله تعالى عليه بثناء عظيمٍ، فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(٢).

وكلُّ ما ذكر الله في كتابه من صفات المؤمنين، من التقوى والإحسان والإخبات والخشوع والقنوت والصبر والصدق والإنفاق والإيفاء بالعهد فلنبينا ﷺ من ذلك أوفر الحظ.

الثانية: قولها: «كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ» فيه استحباب التأهب بأسباب العبادة قبل وقتها والاعتناء بها، واستحباب السواك عند القيام من النوم(٣).

الثالثة: يجوز هذا النوع من وتره ﷺ الذي ذكرته عائشة، والأكثر من فعله ﷺ أنه يسلم من كل ركعتين، ثم يوتر بواحدة؛ لقول عائشة: «كان رسول الله ﷺ يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة

---

(١)صحيح مسلم (٧٤٦).

(٢)المنهل العذب المورود (٧/ ٢٧٣).

(٣)شرح النووي على مسلم (٦/ ٢٦).

العشاء إلى الفجر، إحدى عشرة ركعةً، يسلم بين كل ركعتين، ويوتر بواحدة»[١]، وعن ابن عمر، أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ عن صلاة الليل، فقال رسول الله ﷺ: (صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح، صلى ركعةً واحدةً توتر له ما قد صلى)[٢]. قال مُهنَّا: سألت أبا عبد الله: إلى أي شيءٍ تذهب في الوتر، تسلم في الركعتين؟ قال: نعم. قلت: لأي شيءٍ؟ قال: لأن الأحاديث فيه أقوى وأكثر عن النبي ﷺ[٣].

الرابعة: الحث على المداومة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثيرٍ ينقطع، وقد قال النبي ﷺ: (أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، وَإِنْ قَلَّ)[٤].

وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرةً[٥]، وفي المداومة تخلّق النفس واعتيادها، وتعرّض لنفحات الرحمة.

وقال ابن الجوزي: إنما أحب الدائم لمعنيين:

أحدهما: أن المقبل على الله عز وجل بالعمل إذا تركه من غير عذرٍ كان كالمعرض بعد الوصل، فهو معرض للذم، ولهذا قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمروٍ: (لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ)[٦].

والثاني: أن مداوم الخير ملازم للخدمة، فكأنه يتردد إلى باب الطاعة كل وقتٍ، وليس كمن لازم الباب يومًا دائمًا ثم انقطع[٧].

الخامسة: أنه يستحب المحافظة على الأوراد، وأنها تقضى إذا فاتت.

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ)** أخرجه مسلم[٨].

---

(١)أخرجه مسلم (٧٣٦).

(٢)أخرجه البخاري (٤٧٣) ومسلم (٧٤٩).

(٣)زاد المعاد (١/ ٣١٩).

(٤)أخرجه البخاري (١٩٧٠) ومسلم (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها.

(٥)شرح النووي على مسلم (٦/ ٧١).

(٦)أخرجه البخاري (١١٥٢) مسلم (١١٥٩).

(٧)كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٢٧٨).

(٨)صحيح مسلم (٧٤٧).

فيه مسائل:

الأولى: الحزب: ما يجعله الرجل على نفسه من قراءةٍ أو صلاةٍ، كالورد(١).

الثانية: أنه يشرع للمسلم اتخاذ وردٍ من العبادات، وخاصةً في الليل.

الثالثة: مشروعية قضائه إذا فات لنومٍ أو عذرٍ من الأعذار؛ ليكون مداومًا على حزبه.

الرابعة: الحث على المبادرة إلى القضاء؛ فإن ما قارب الشيء يُعطى حكمه، ولئلا يفوت حزبه بانشغالٍ ونحوه.

الخامسة: أن الصلاة وقراءة القرآن في الليل أفضل من النهار، وقد قال النبي ﷺ: (أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ)(٢).

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا» أخرجه مسلم (٣).

فيه مسائل:

الأولى: فيه استحباب الجلوس بعد صلاة الصبح للذكر والدعاء إلى طلوع الشمس؛ لأن ذلك الوقت وقت لا يُصلَّى فيه، وهو بعد صلاةٍ مشهودةٍ، وأشغال اليوم بعدُ لم تأتِ، فيقع الذكر والدعاء على فراغِ قلبٍ وحضورِ فهمٍ، فيُرتجى فيه قبول الدعاء وسماع الأذكار(٤)، قال القاضي عياض: هذه سنة مستحبة، كان السلف وأهل العلم يلتزمونها(٥).

الثانية: في الجلوس في المسجد ثواب عظيم، فهي بيوت الله، وأحب البلاد إليه، قال تعالى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.

---

(١)قاله الطِّيبي في شرح المشكاة (٤/ ١٢١٥).

(٢)أخرجه مسلم (١١٦٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٣)صحيح مسلم (٦٧٠).

(٤)المفهم (٢/ ٢٩٥).

(٥)إكمال المعلم (٧/ ٢٨٦).

وقال النبي ﷺ: (المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ)(١).

وقال ﷺ: (مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، إِلَّا تَبَشْبَشَ اللَّهُ إليه كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ، إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ)(٢).

الثالثة: ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الاعتكاف يجوز الكثير منه والقليل، ولو ساعةً(٣)، قال يعلى بن أميّة رضي الله عنه: «إني لأمكث في المسجد الساعة، وما أمكث إلا لأعتكف»(٤).

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» أخرجه مسلم(٥).

فيه مسائل:

الأولى: فيه الحث على الإكثار من ذكر الله تعالى في كل الأحيان؛ اقتداءً بنبينا ﷺ، واغتنامًا لفضائل الذكر العظيمة، قال تبارك وتعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}. قال خالدٌ الرّبعي عن هذه الآية: «قِفْ عندها ولا تعجل، فلو استقر يقينها في قلبك ما جفت شفتاك»(٦)، وقال ابن القيم: «ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها، لكفى بها فضلًا وشرفًا»(٧).

وقال تبارك اسمه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

وقال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

وقال: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنهار لَآيَاتٍ لِأُوْلِي الألباب* الذين يَذْكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ}.

وقال تعالى جدُّه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً}، قال ابن كثيرٍ: «وقوله:

---

(١)أخرجه البخاري (٤٤٥) ومسلم (٦٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢)أخرجه أحمد (٨٣٥٠) وابن ماجه (٨٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه ابن خزيمة (٣٥٩) وابن حبان (٢٢٧٨) والحاكم في المستدرك (٧٧١) وقال الذهبي في تلخيصه: «على شرطهما» وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٠٢): إسناده صحيح.

(٣)المجموع (٦/ ٤٨٩).

(٤)أخرجه عبد الرزاق في المصنَّف (٨٠٠٦).

(٥)صحيح البخاري قبل حديث (٣٠٥) صحيح مسلم (٣٧٣).

(٦)أخرجه ابن المنذر، كما في الدُّر المنثور (٢/٦٥).

(٧)الوابل الصيب (ص٤٢).

{هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ} هذا تهييج إلى الذكر، أي: إنه سبحانه يذكركم، فاذكروه أنتم»[١].

وقال النبي ﷺ: (سبق المُفرِّدون) قالوا: وما المُفرِّدون يا رسول الله؟ قال: (الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات)[٢].

وقال رجل: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فأخبرني بشيءٍ أتشبَّث به، قال: (لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله)[٣].

الثانية: القرآن أجل الذكر وأشرفُه وأحسنه، قال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ}، وقال النبي ﷺ: (إن خير الحديثِ كتابُ الله)[٤]، وقال خبَّاب بن الأرتِّ رضي الله عنه: «تقرَّب إلى الله بما استطعت، فإنك لن تقرَّب إليه بشيءٍ أحب إليه من كلامه»[٥]، فحريٌّ بالمؤمن المريد للخير أن يُعنى بكتاب الله استماعًا وقراءةً وعلمًا وعملًا وفهمًا وتدبرًا وحفظًا وتعليمًا، وبقدر اهتمام المؤمن بهذه الأمور يعظم حظه ونصيبه مما وصف الله به كتابه؛ فقد أخبرنا الله أن القرآن فيه الهدى والنور، وأنه ذِكرٌ، وأنه مبارك، وأنه رحمة وتثبيت وذكرى وبشرى للمسلمين.

الثالثة: هذا الحديث أصل في جواز ذكر الله تعالى بالتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد وشبهها من الأذكار، في حال الجنابة والحدث، وهذا جائز بإجماع المسلمين، وإنما اختلف العلماء في قراءة القرآن للجنب والحائض[٦].

---

(١)تفسير القرآن العظيم (٦/٤٣٦) وفي المستدرك (٣٥٦٥) عن سُليم بن عامرٍ، قال: جاء رجل إلى أبي أُمامة رضي الله عنه، فقال: يا أبا أمامة، إني رأيت في منامي أن الملائكة تصلي عليكَ كلما دخلتَ، وكلما خرجتَ، وكلما قمتَ، وكلما جلستَ. قال أبو أُمامة: اللهم غفرًا، دَعُونا عنكم، وأنتم لو شئتم صلت عليكم الملائكة، ثم قرأ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا...} قال الذهبي: «على شرط مسلمٍ». وقال ابن عاشورٍ في التحرير والتنوير (٢٢/٤٩): «{هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ...} تعليل للأمر بذكر الله وتسبيحه، بأن ذلك مجلبة لانتفاع المؤمنين بجزاء الله على ذلك بأفضل منه من جنسه، وهو صلاته وصلاة ملائكته. والمعنى: أنه يصلي عليكم وملائكته إذا ذكرتموه ذكرًا، بكرةً وأصيلًا». وقال ابن رجبٍ (مجموع رسائله١/٢٨): دلت الآية على أن الله وملائكته يصلون على أهل الذكر، والعلم من أفضل أنواع الذكر.

(٢)أخرجه مسلم (٢٦٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣)أخرجه الترمذي (٣٣٧٥) عن عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (٨١٤) والحاكم (١٨٢٢) وأورد الترمذي في آخره: قول معاذِ بن جبلٍ: «ما شيءٌ أنجى من عذاب الله من ذكر الله».

(٤)أخرجه مسلم (٨٦٧) عن جابرٍ رضي الله عنه.

(٥)أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٠٩٨) وصححه الحاكم (٣٦٥٢) وأقره الذهبي، وقال البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٨٨): إسناده صحيح.

(٦)شرح النووي على مسلم (٤/ ٦٨).

الرابعة: تجوز قراءة القرآن بدون مسِّ المصحف لمن كان على حدثٍ أصغر، قال البخاري: باب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره، ثم أورد حديث ابْن عَبَّاسٍ، أنه قال: بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، اسْتَيْقَظَ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ العَشْرَ الآيَاتِ الخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا»(١).

الحديث السادس والعشرون

عن النعمان بن بَشيرٍ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**)، ثم قرأ: {**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**}. أخرجه الخمسة، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم(٢).

فيه مسائل:

الأولى: يروى من حديث أنسٍ مرفوعًا: (الدعاء مخ العبادة)(٣)، أي: خالصها. قال العلامة ابن سعدي: إنما كان الدعاء كذلك لأمورٍ، منها: أن الدعاء فيه التضرع إلى الله وإظهارُ الضعف والحاجة إلى الله. ومنها: أن العبادة كلما كان القلب فيها أخشع والفكر فيها حاضر؛ فهي أفضل وأكمل، والدعاء أقرب العبادات إلى حصول هذا المقصود. ومنها: أن الدعاء ملازم للتوكل والاستعانة بالله؛ فإن التوكل هو الاعتماد بالقلب على الله والثقة به في حصول المحبوبات واندفاع المكروهات، والدعاء يقويه، بل يعبر عنه ويصرح به؛ فإن الداعي يعلم ضرورته التامة إلى الله، وأنها بيد الله، ويطلبها من ربه راجيًا له واثقًا به، وهذا هو روح العبادة. ومنها: أن الداعي لما كان يدعو الله لمصلحته ويطلب من الله حوائجه؛ فربما ظن الظان أن ذلك هو المقصود، وأنه إن حصلت الحاجة التي دعا لأجلها فقد حصل المراد، وإن لم تحصل فقد ضاع سعيه، وهذا ظنٌّ غالطٌ، فأخبر أنه عبادة لله، سواء أجيب العبد إلى ما سأل أو لم يجب؛ فإنه كسب العبادة لله بدعائه، كما لو صلى أو قرأ أو ذكر الله؛ فإن حصل مع هذه العبادة التي هي المقصود الأعظم مطلوبُه وإلا فهو غانم ومحصِّل لعبادة ربه؛ فمن نعمة الله على العبد أن يأمره بالدعاء، وتَدفعه الحاجات والضرورات إلى سؤال الله لتحصل له هذه العبادة العظيمة، حتى كان بعض السلف يقول: إنه تكون لي الحاجة إلى الله فأدعوه فيفتح لي من لذيذ مناجاته ما أتمنى معه أن حاجتي لم تقضَ؛ لِما أخشى من

---

(١)صحيح البخاري (١٨٣).

(٢)مسند أحمد (١٨٣٥٢) سنن أبي داود (١٤٧٩) جامع الترمذي (٢٩٦٩) السنن الكبرى للنسائي (١١٤٠٠) سنن ابن ماجه (٣٨٢٨) صحيح ابن حبان (٨٩٠) المستدرك (١٨٠٢) وقال ابن حجرٍ في فتح الباري (٤٩/١): سنده جيد.

(٣)أخرجه الترمذي (٣٣٧١) وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة».

انصراف النفس عن هذه المناجاة والعبادة، ويقول بعضهم: لقد بورك لك في حاجةٍ أكثرت فيها من قرع باب سيدك[1].

الثانية: وجه إيراد هذا الحديث في السنن اليومية، أنه جاء في السنة النبوية بيان أحوالٍ وأوقاتٍ يستجاب فيها الدعاء تتكرر يوميًّا، بل بعضها يتكرر في اليوم أكثر من مرةٍ، مما يدل على عظيم شأن هذه العبادة ومحبة الله لها، وأنه يندب للمؤمن ويتأكد في حقه أن تكون له عناية كبيرة بهذه العبادة، وأن يكثر منها خاصةً في تلك الأحوال والأوقات، ومنها:

عند الأذان؛ لحديث: (ثنتان لا تردان- أو قلما تردان-: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا)، وصح موقوفًا عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه[2].

وبعد إجابة المؤذن؛ لقول عبد الله بن عمروٍ: إن رجلًا قال: يا رسول الله، إن المؤذنين يفضلوننا، فقال: رسول الله ﷺ: (قل كما يقولون، فإذا انتهيت، فَسَلْ تُعْطَهْ)[3].

وبين الأذان والإقامة؛ لقول النبي ﷺ: (الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة)[4].

وفي السجود؛ لقول النبي ﷺ: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء)[5]، والمؤمن يسجد لربه جل وعلا في الصلوات المكتوبات أربعًا وثلاثين سجدةً في اليوم والليلة، فكيف إذا انضاف إلى ذلك النوافل؟!

وقبل السلام من الصلاة؛ لقول النبي ﷺ لابن مسعودٍ لما علمه التشهد: (ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه، فيدعو)[6].

---

(١)مجموع الفوائد (ص٤٠).

(٢)أخرج المرفوع أبو داود (٢٥٤٠) والموقوف أخرجه مالك في الموطأ (٢/٩٥) والبخاري في الأدب المفرد (ص٢٤٦) وصححه الألباني، قال ابن عبد البر في التمهيد (٢١/١٣٨): «ومثله لا يقال من جهة الرأي».

(٣)أخرجه أبو داود (٥٢٤) وحسنه ابن كثيرٍ في الأحكام الكبير (١/ ٢٥١) وابن حجرٍ في نتائج الأفكار (١/ ٣٦٨).

(٤)أخرجه النسائي في الكبرى (٩٨١٢) وصححه ابن خزيمة (٤٢٦) وابن حبان (١٦٩٦). وإذا كان الدعاء عند الأذان وبين الأذان والإقامة لا يرد- مع كونه وسيلة إلى المقصود الأَجَلّ، وهو الصلاة- كان في ذلك إيماء إلى أن الدعاء في الصلاة مستجاب؛ إذ الصلاة محل المناجاة بين العبد وربه، قال ﷺ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي الصَّلاَةِ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ) وقال ابن مسعودٍ: «إنك ما دمت في صلاةٍ تقرعُ باب الملك، ومن يكثر قرع باب الملك يوشك أن يُفتح له» أخرجه ابن أبي شيبة (٨٣٥٥).

(٥)أخرجه مسلم (٤٨٢) قال ابن حجرٍ: «والأمر بإكثار الدعاء في السجود يشمل الحث على تكثير الطلب لكل حاجةٍ، كما جاء في حديث أنسٍ: (لِيسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى شسع نعله) أخرجه الترمذي، ويشمل التكرار للسؤال الواحد. والاستجابة تشمل استجابة الداعي بإعطاء سؤله، واستجابة المثني بتعظيم ثوابه». فتح الباري (٢/٣٠٠).

(٦)أخرجه البخاري (٨٣٥) ومسلم (٤٠٢).

والساعة التي في كل ليلةٍ؛ لقول النبي ﷺ: (إن في الليل لساعةً لا يوافقها رجل مسلم، يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلةٍ)(١).

وفي الثلث الأخير من الليل؛ لقول النبي ﷺ: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)(٢)، وفي حديثٍ آخر: (هل من مستغفرٍ؟ هل من تائبٍ؟ هل من سائلٍ؟ هل من داعٍ؟)(٣).

ومن قام من نومه ليلًا للصلاة؛ لقول النبي ﷺ: (رجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الطهور، وعليكم عُقَدٌ، فإذا وضَّأ يديه، انحلت عقدة، فإذا وضَّأ وجهه، انحلت عقدة، وإذا مسح رأسه، انحلت عقدة، وإذا وضَّأ رجليه، انحلت عقدة، فيقول الله جل وعلا للذي وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه ليسألَني، ما سألني عبدي هذا، فهو له، ما سألني عبدي هذا، فهو له)(٤).

ومن بات على ذكرٍ طاهرًا، فتعارَّ من الليل، فدعا الله؛ لقول النبي ﷺ: (ما من مسلمٍ يبيت على ذِكْرٍ طاهرًا، فيتعار من الليل، فيسأل الله خيرًا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه)(٥).

الحديث السابع والعشرون

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ، فِي طُهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَتَنَعُّلِهِ» أخرجاه(٦).

---

(١)أخرجه مسلم (٧٥٧) عن جابرٍ ﷺ، قال النووي في شرحه (٦/ ٣٦): «فيه إثبات ساعة الإجابة في كلّ ليلةٍ، ويتضمن الحثَّ على الدعاء في جميع ساعات الليل؛ رجاء مصادفتها».

(٢)أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) قال ابن بطالٍ في شرح صحيح البخاري (١٠/٨٩): «هذا وقت شريف مرغَّب فيه خصّه الله تعالى بالتنزل فيه، وتفضّل على عباده بإجابة من دعا فيه، وإعطاء من سأله؛ إذ هو وقت خلوةٍ وغفلةٍ واستغراقٍ في النوم واستلذاذٍ به، ومفارقة الدَّعَة واللذة صعب على العباد، لاسيما لأهل الرفاهية في زمن البرد، ولأهل التعب والنصب في زمن قصر الليل، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه في غفران ذنوبه، وفكاك رقبته من النار وسأله التوبة في هذا الوقت الشاق على خلوة نفسه بلذتها ومفارقة دعتها وسكنها، فذلك دليل على خلوص نيته وصحة رغبته فيما عند ربه، فضُمنت له الإجابة التي هي مقرونة بالإخلاص وصدق النية في الدعاء؛ إذ لا يقبل الله دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ».

(٣)أخرجه مسلم (٧٥٨) عن أبي سعيدٍ، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٤)أخرجه أحمد (١٧٧٩١) عن عقبة بن عامرٍ ﷺ، وصححه ابن حبان (١٠٥٢) وحسنه الألباني في صحيح موارد الظمآن (١/ ١٥١).

(٥)أخرجه أبو داود (٥٠٤٢) عن معاذ بن جبلٍ ﷺ، وحسّنه ابن حجرٍ نتائج الأفكار (٣/٨٣).

(٦)صحيح البخاري (٤٢٦) صحيح مسلم (٢٦٨).

فيه مسائل:

الأولى: الحديث يدل على استحباب البداءة باليمين في ما كان من باب التكريم، وفي معناه أحاديث، منها:

قولُه ﷺ: (إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا نزع فليبدأ بالشمال، لِيَكُنْ اليمنى أولهما تُنْعل وآخرهما تُنزع)(١).

وقولُه ﷺ للحلاق لمَّا رمى جمرة العقبة: (خذ) وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر(٢).

وقولُه ﷺ لمن يغسِّلن ابنته: (ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها)(٣).

وقولُه ﷺ: (إذا لبستم، وإذا توضأتم، فابدؤوا بأيامِنِكُم)(٤).

وقولُه ﷺ: (ليأكل أحدكم بيمينه، وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه، وليعطِ بيمينه؛ فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله، ويعطي بشماله، ويأخذ بشماله)(٥).

وقال أنسٌ: استسقى رسول الله ﷺ فحلبنا له شاةً، فأعطيته، فشرب، وأبو بكرٍ عن يساره، وعمرُ وِجاهَه، وأعرابي عن يمينه، فلما فرغ رسول الله ﷺ من شربه، قال عمر: هذا أبو بكر يا رسول الله، يريه إياه، فأعطى رسول الله ﷺ الأعرابي، وقال: (الأيمنون، الأيمنون، الأيمنون)، قال أنس: «فهي سنةٌ، فهي سنةٌ، فهي سنةٌ»(٦).

الثانية: قال النووي: هذه قاعدة مستمرة في الشرع، وهي أنما كان من باب التكريم والتشريف، كلبس الثوب والسراويل والخف ودخول المسجد والسواك والاكتحال وتقليم الأظفار وقص الشارب وترجيل الشعر ونتف الإبط وحلق الرأس والسلام من الصلاة وغسل أعضاء الطهارة والخروج من الخلاء والأكل والشرب والمصافحة واستلام الحجر الأسود وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه، وأما ما كان بضده كدخول الخلاء والخروج من المسجد والامتخاط والاستنجاء وخلع الثوب والسراويل والخف وما أشبه ذلك فيستحب التياسر فيه، وذلك كله لكرامة اليمين وشرفها(٧).

---

(١)أخرجه البخاري (٥٨٥٥) ومسلم (٢٠٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢)أخرجه مسلم (١٣٠٥) عن أنسٍ رضي الله عنه.

(٣)أخرجه البخاري (١٦٧) صحيح مسلم (٩٣٩) عن أم عطية رضي الله عنها.

(٤)أخرجه أبو داود (٤١٤١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه ابن خزيمة (١٣٩) وابن حبان (١٠٩٠).

(٥)أخرجه ابن ماجه (٣٢٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٩٣) والبوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٠): إسناده صحيح.

(٦)صحيح البخاري (٢٥٧١) صحيح مسلم (٢٠٢٩).

(٧)شرح النووي على مسلم (٣/ ١٦٠).

الثالثة: قولها: «ما استطاع» إشارة إلى شدة المحافظة على التيمن.

الرابعة: قولها: «وطُهوره» فعل الطهارة في الوضوء والغسل، وقولها: «وترجله» أي: تسريح شعره ودهنه وتجميله.

الحديث الثامن والعشرون

عن عَائِشَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ)** أخرجه أحمد والنسائي، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والنووي[١].

فيه مسائل:

الأولى: في الحديث فضيلةٌ ظاهرةٌ للسواك، وقد اتفق العلماء على أنه سنة مؤكدة؛ لحث النبي ﷺ عليه، ومواظبته عليه، وترغيبه فيه، وندبه إليه[٢]، قال ابن عبد البر: وفضل السواك مجتمعٌ عليه لا اختلاف فيه[٣]، وقد قال ﷺ: (أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السِّوَاكِ)[٤]، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَا زَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُنَا بِهِ حَتَّى خَشِينَا أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِ فِيهِ»[٥].

الثانية: السواك مسنون كل وقتٍ، ويتأكد:

-مع الوضوء؛ لقول النبي ﷺ: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوءٍ)[٦].

-وعند الصلاة، فرضًا كانت أو نفلًا؛ لقول النبي ﷺ: (لولا أن أشق على أمتي، لأمرتهم بالسواك مع كل صلاةٍ)[٧].

-وعند انتباهٍ من نومٍ ليلٍ أو نهارٍ؛ لقول حذيفة: «كان النبي ﷺ إذا قام من الليل، يشوص فاه بالسواك»[٨]، وقال ابن عمر: «إن رسول الله ﷺ كان لا ينام إلا والسواك عنده، فإذا استيقظ بدأ بالسواك»[٩].

-وعند دخول البيت؛ لقول عائشة: «إن النبي ﷺ كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك»[١].

---

(١)مسند أحمد (٢٤٢٠٣) سنن النسائي (٥) صحيح ابن خزيمة (١٣٥) صحيح ابن حبان (١٠٦٧) المجموع (١/ ٢٦٧).

(٢)المبدع (١/ ٧٨).

(٣)التمهيد (٧/ ٢٠٠).

(٤)أخرجه البخاري (٨٨٨).

(٥)أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٨٦٢) وسنده حسن، كما في تسهيل الفقه (١/٢٧٩).

(٦)أخرجه أحمد (٩٩٢٨) وصححه ابن خزيمة (١٤٠) عن أبي هريرة ﷺ، وعلقه البخاري قبل حديث (١٩٣٤).

(٧)أخرجه البخاري (٨٨٧) ومسلم (٢٥٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٨)صحيح البخاري (٢٤٥) صحيح مسلم (٢٥٥).

(٩)أخرجه أحمد (٥٩٧٩).

–وعند قراءة القرآن؛ لقول أبي عبد الرحمن السُّلمي: حثَّ علي بن أبي طالب الناس على السواك، وقال: «إن الرجل إذا قام يصلي دنا المَلك يستمع القرآن، فما يزال يدنو حتى أنه يضع فاه على فيه، فما يلفظ من آيةٍ إلا يقع في جوف المَلك»(٢).

الثالثة: كان النبي ﷺ شديد الاهتمام بالسواك، ويبالغ في استعماله؛ قال أبو موسى: «أتيت النبي ﷺ فوجدته يستن بسواكٍ بيده يقول أُعْ أُعْ، والسواك في فيه، كأنه يتهوع»، وفي لفظٍ: «وطرف السواك على لسانه»(٣)، وفيه: تأكيد استحباب السواك، وأنه لا يختص بالأسنان، بل يكون على الأسنان واللسان واللِّثة والحلق، والعلة التي تقتضي الاستياك على الأسنان موجودة في اللسان، بل هي أبلغ وأقوى؛ لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة(٤).

وانظر إلى حرص النبي ﷺ على السواك، وهو في سياق الموت صلوات الله وسلامه عليه، تقولُ عائشة رضي الله عنها، دخل عبد الرحمن بن أبي بكرٍ على النبي ﷺ وأنا مسندتُه إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستنُّ به، فأبدَّه رسول الله ﷺ بصرَه، فأخذت السواك فقصمته، ونفضته وطيبته، ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستَنَّ به، فما رأيت رسول الله ﷺ استَنَّ استنانًا قطُّ أحسنَ منه»(٥).

الرابعة: ذكر ابن الملقن نحوًا من مائة حديثٍ في السواك، ثم قال: «وهذا عظيم جسيم، فوا عجبًا! سنةٌ واحدةٌ تأتي فيها هذه الأحاديث ويهملها كثير من الناس، بل كثير من الفقهاء المشتغلين، وهي خيبة عظيمة نسأل الله المعافاة منها»(٦).

الخامسة: إن استاك بالفرشاة والمعجون فذلك حسن، ويحصل به تطهير الفم، وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ استاك بجريدةٍ رطبةٍ(٧).

الحديث التاسع والعشرون

---

(١)أخرجه مسلم (٢٥٣).

(٢)أخرجه عبد الرزاق (٤١٨٤) وسنده صحيح، كما في تسهيل الفقه (١/٢٧٩).

(٣)أخرجه البخاري (٢٤٤) ومسلم (٢٥٤).

(٤)كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (١/ ٢٦٥).

(٥)صحيح البخاري (٤٤٣٨).

(٦)البدر المنير (٢/ ٦٨).

(٧)أفاده الشيخ عبد الله الجبرين في تسهيل الفقه (١/٢٨٩) والحديث في صحيح البخاري (٤٤٥١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**) قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: (**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**) أخرجه مسلم[١].

فيه مسائل:

الأولى: القيام بهذه الحقوق بين المسلمين يقوي الأخوّة الإيمانية ويجلب المحبة بينهم، وهذا أمرٌ حث عليه الشرع وندب إليه في نصوصٍ كثيرةٍ.

الثانية: السلام من آكد الحقوق وأيسرها، وأكثرها شيوعًا، وفيه فضل كبير، قال النبي ﷺ: (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)[٢].

وسُئل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: (تطعم الطعام، وتَقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)[٣].

وقال النبي ﷺ: (إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام)[٤].

وقال أبو شريحٍ: يا رسول الله أخبرني بشيءٍ يوجب لي الجنة، قال: (طِيب الكلام، وبذل السلام، وإطعام الطعام)[٥].

الثالثة: مما يدل على أهمية السلام قولُ النبي ﷺ: (إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر، ثم لقيه فليسلم عليه أيضًا)[٦]، وهذا أمرٌ يتكرر مثله كثيرًا جدًّا في البيوت والمدارس والوظائف، ونحو ذلك.

ومما يدل على أهميته أيضًا: قولُ سَيَّارِ بن وردان: «كنت أمشي مع ثابت البُناني، فمر بصبيانٍ فسلم عليهم، وحدَّث ثابت أنه كان يمشي مع أنسٍ، فمر بصبيانٍ فسلم عليهم، وحدث أنس أنه

(١)صحيح مسلم (٢١٦٢).

(٢)أخرجه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرج البخاري في الأدب المفرد (٩٧٩) عن البراء، مرفوعًا قال: «أفشوا السلام تسلموا».

(٣)أخرجه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤)أخرجه أبو داود (٥١٩٧) عن أبي أُمامة ﷺ. وقال النووي في الأذكار (ص٢٥٠): إسناده جيد. وقال ابن حجرٍ: حديث حسن. الفتوحات الربانية (٥/ ٣٢٧).

(٥)أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨١١) وصححه ابن حبان (٤٩٠) والحاكم (٦١).

(٦)أخرجه أبو داود (٥٢٠٠) عن أبي هريرة ﷺ.

كان يمشي مع رسول الله ﷺ فمر بصبيانٍ فسلم عليهم»[١].

وكان ابن عمر يغدو إلى السوق، فلا يمر على سقَّاطٍ، ولا صاحب بيعةٍ، ولا مسكينٍ، ولا أحدٍ إلا سلَّم عليه، وقال: «إنما نغدو من أجل السلام»[٢].

وقال ابن مسعودٍ: «إن السلام اسمٌ من أسماء الله وضعه الله في الأرض، فأفشوه بينكم، إن الرجل إذا سلم على القوم فردوا عليه كانت له عليهم فضل درجةٍ؛ لأنه ذكَّرهم السلام، وإن لم يُرَدَّ عليه رَدَّ عليه من هو خيرٍ منه وأطيب»[٣].

فعلى المسلم أن يولي هذه السنة العظيمة كبير اهتمامه وأن يحرص على إفشائها في بيته وعمله وسوقه، وعبر هاتفه، بل ويحرص أن يأتي بالسلام كاملًا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ ليكتب له ثلاثون حسنةً[٤].

الرابعة: في عيادة المريض واتباع الجنازة فضل كبير وأجرٌ عظيم، قال النبي ﷺ: (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضتُ فلم تَعُدني، قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تَعُده، أما علمت أنك لو عُدته لوجدتني عنده)[٥].

وقال ﷺ: (من عاد مريضًا لم يزل في خُرْفة الجنة) قيل: يا رسول الله وما خُرْفة الجنة؟ قال: (جناها)[٦].

وقال ﷺ: (من عاد مريضًا خاض في الرحمة، حتى إذا قعد استقر فيها)[٧].

وقال ﷺ: (إذا عاد الرجل أخاه المسلم، مشى في خِرافة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوةً صلى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يمسي، وإن كان مساءً صلى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يصبح)[٨].

وقال ﷺ: (من شهد الجنازة حتى يصلَّى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان)،

---

(١)أخرجه البخاري (٦٢٤٧) ومسلم (٢١٦٨).

(٢)أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٦١).

(٣)أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٥٧٩) وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ص٦٦٥): سنده صحيح.

(٤)جاء هذا في حديثٍ أخرجه أبو داود (٥١٩٥) عن عمران بن حصين، وقال البيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٢٤٣): إسناده حسن، وقال ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٦): سنده قوي.

(٥)أخرجه مسلم (٢٥٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦)أخرجه مسلم (٢٥٦٩) عن ثوبان رضي الله عنه.

(٧)أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٢٢) عن جابرٍ رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (٢٩٥٦).

(٨)أخرجه أحمد (٦١٢) والترمذي (٩٦٩) وقال: حسن غريب، وقد روي عن عليٍّ هذا الحديث من غير وجهٍ، منهم من وقفه ولم يرفعه.

قيل: وما القيراطان؟ قال: (مثل الجبلين العظيمين)، وفي لفظٍ: (وكان معها حتى يصلَّى عليها، ويُفرغ من دفنها)[١].

الخامسة: الحقوق المذكورة في الحديث متأكدة جدًّا، وبعض العلماء يرى وجوبها، فعلى المسلم أن يحرص على القيام بما يستطيع منها.

الحديث الثلاثون

عن عُمَرَ بْن أَبِي سَلَمَةَ، قال: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)** فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. أخرجاه[٢].

فيه مسائل:

الأولى: فيه تعليم الصبيان ما يحتاجون إليه من أمور الدين وآدابه.

الثانية: فيه منقبة لعمر بن أبي سلمة؛ لامتثاله الأمر ومواظبته على مقتضاه، وقد تقدم نحو هذا عن أم حبيبة في مواظبتها على الثنتي عشرة ركعةً، وهكذا ينبغي للمؤمن إذا بلغه شيءٌ من سنة النبي ﷺ.

الرابعة: تأمل- أكرمك الله برضوانه- كم من آيةٍ وحديثٍ ممكن أن نتعبد لله بها عند الطعام- مع أنه في الأصل من المباحات-:

أولًا: قال النبي ﷺ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) وهذا يدخل فيه الأكل بنية التقوي على عبادة الله.

ثانيًا: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ في الآية إيماءٌ إلى أن أكل الطيبات يقصد به القيام بعبادة الله وشكره.

ثالثًا: قال النبي ﷺ: (ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة)[٣]، وفيه أن المؤمن يؤجر بإطعام نفسه وأهله.

رابعًا: قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

خامسًا: قال النبي ﷺ: (ما ملأ آدمي وعاءً شرًّا من بطنٍ، بحَسْب ابن آدم أُكلات يُقِمن صلبه،

---

(١)أخرجه البخاري (١٣٢٥) ومسلم (٩٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢)صحيح البخاري (٥٣٧٦) صحيح مسلم (٢٠٢٢).

(٣)أخرجه أحمد (١٧١٧٩) عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه، بإسنادٍ جيدٍ، كما قاله المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢).

فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسَه)[١].

سادسًا: قال النبي ﷺ: (وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ) ومن الكلمة الطيبة: الشكر والدعاء لمن صنع الطعام.

سابعًا: قال أبو هريرة: «ما عاب النبي ﷺ طعامًا قَطُّ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه»[٢].

ثامنًا: قال النبي ﷺ: (سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ).

تاسعًا: قال النبي ﷺ: (إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيءٍ من شأنه، حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة، فليُمِطْ ما كان بها من أذًى، ثم ليأكلها، ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه؛ فإنه لا يدري في أيِّ طعامه تكون البركة)[٣].

عاشرًا: قال أنس: إن النبي ﷺ أمرنا أن نسلت القصعة، وقال: (فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة)[٤].

حادي عشر: قال عبد الله بن بُسرٍ: أُتي النبي ﷺ بقصعةٍ، فالتفوا عليها، فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال: (إن الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا) ثم قال: (كلوا من حواليها، ودعوا ذروتها، يبارك فيها)[٥].

ثاني عشر: قال النبي ﷺ: (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأَكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها)[٦].

والجلوس على الطعام يتكرر في اليوم أكثر من مرةٍ، فمن هداه الله للعمل بهذه السنن، فقد وفق لخيرٍ كثيرٍ، والله المستعان.

الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **(إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ)** أخرجه مسلم[٧].

---

(١)أخرجه الترمذي (٢٣٨٠) عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه. وقال: «حسن صحيح».

(٢)أخرجه البخاري (٣٥٦٣) ومسلم (٢٠٦٤).

(٣)أخرجه مسلم (٢٠٣٣) عن جابر رضي الله عنه. وفي روايةٍ: (وأمر بلعق الأصابع والصحفة).

(٤)أخرجه مسلم (٢٠٣٤).

(٥)أخرجه أبو داود (٣٧٧٣) وقال النووي في رياض الصالحين (ص٢٥٦): إسناده جيد، وقال الذهبي في المهذب (٦/٢٨٦٣): إسناده صالح.

(٦)أخرجه مسلم (٢٧٣٤) من حديث أنسٍ رضي الله عنه.

(٧)صحيح مسلم (٢٠٢٠).

فيه مسائل:

الأولى: دلت السنة أن آداب الشرب خمسةٌ: التسمية أولَه، وحمد الله آخرَه، والشرب باليمين، وأن يكون جالسًا، بثلاثة أنفاسٍ.

الثانية: أنه ينبغي اجتناب الأفعال التي تشبه أفعال الشياطين.

الثالثة: قال في الإقناع: وإن جعل بيمينه خبزًا وبشماله شيئًا يأتدم به، وجعل يأكل من هذا الذي جعله بشماله، كُره؛ لأنه أكلٌ بشماله، ولِما فيه من الشَّرَه(١).

الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)** أخرجاه(٢).

فيه مسائل:

الأولى: هذا الحديث في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضيفان والصدقات، ونحو ذلك بحيث لا يذم ولا يسمى سَرَفًا، والإمساك المذموم هو الامساك عن هذا(٣).

الثانية: ترجم البخاري على هذا الحديث: باب قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} قال ابن حجر: وتضمنت الآية الوعد بالتيسير لمن ينفق في وجوه البر، والوعيد بالتعسير لعكسه، والتيسيرُ المذكور أعم من أن يكون لأحوال الدنيا أو لأحوال الآخرة، وكذا دعاء الملَك بالخَلَف يحتمل الأمرين(٤).

والحديثُ أيضًا موافق لقوله تعالى: {وَمَا أَنفَقتُم مِن شَيءٍ فَهُوَ يُخلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} ولقوله في الحديث القدسي: (ابنَ آدم، أَنفقْ أُنفقْ عليك)(٥)، وهو يعم الواجبات والمندوبات، وموافقٌ لقوله تعالى في سياق آيات الإنفاق: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيأْمُرُكُم بِالْفَحشَاءِ وَاللهِ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} قال ابن القيم: هذه الآية تتضمن الحضَّ على الإنفاق بأبلغ الألفاظ وأحسن المعاني؛ فإنها اشتملت على بيان الداعي إلى البخل والداعي إلى البذل والإنفاق... والله

---

(١)الإقناع (٣/ ٢٣١).

(٢)صحيح البخاري (١٤٤٢) صحيح مسلم (١٠١٠).

(٣)شرح النووي على مسلم (٧/ ٩٥)

(٤)فتح الباري (٣/ ٣٠٥).

(٥)المفهم (٣/ ٥٥) والحديث أخرجه البخاري (٤٦٨٤) ومسلم (٩٩٣) عن أبي هريرة ﷺ.

سبحانه يعد عبده مغفرةً منه لذنوبه، وفضلاً بأن يُخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه، فهذا وعد الله وذاك وعد الشيطان، فلينظر البخيل والمنفق أي الوعدَينِ هو أوثق وإلى أيهما يطمئن قلبه وتسكن نفسه؟ والله يوفق من يشاءُ ويخذل من يشاءُ، وهو الواسع العليم(١).

الثالثة: طوبى لمن احتسب في نفقته على نفسه ووالديه وزوجه وأولاده؛ فإنه يعظم أجره ويكثر ثوابه، وينشرح صدره بهذه النفقة.

بل كل أمرٍ مباحٍ إذا فعله المسلم بنيةٍ صالحةٍ واحتسابٍ أُثيب عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الأكل والشرب والنكاح إنْ فَعَلَهُ المسلم بنية الاستعانة على ما خُلِقَ له وهو عبادة الله كان داخلًا في عبادته، وكان له عليه الأجر، كما قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاصٍ: (إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك)(٢)، وقال ﷺ: (إذا أنفق المسلم نفقةً على أهله، وهو يحتسبها، كانت له صدقة)(٣)، بل نفقة المرء على نفسه وعياله أفضل من نفقته على من لا تلزمه نفقته؛ لأن ذلك واجبٌ، وما تقرب العبادُ إلى الله بمثل أداء ما افتُرِض عليهم، ولهذا قال ﷺ: (دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبةٍ، ودينار تصدقت به على مسكينٍ، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك)(٤). ولكن أكثر الناس يفعلون ذلك طبعًا وعادةً لا يبتغون به وجه الله تعالى، كما يفعلون في قضاء الديون من أثمان المبيعات والقروض وغير ذلك من المعاوضات والحقوق، وهذه كلها واجبات، فمن فعلها ابتغاءَ وجه الله كان عليها من الأجر أعظمُ من أجر المُتَصَدِّقِ نافلةً؛ لكن يتصدقُ أحدهم بالشيء اليسير على المسكين وابنِ السبيل ونحو ذلك لوجه الله تعالى، فيجدُ طعمَ الإيمان والعبادةِ لله، ويعطي في هذه ألوفًا فلا يجد في ذلك طعمَ الإيمانِ والعبادة؛ لأنه لم ينفقه ابتغاء وجهِ الله، فمن هذا الوجه صارَ في عُرْفِهِم أن هذه النفقات التي لا بُدَّ منها ليست عبادةً، وقد لا يستشعرون إيجاب الشارعِ لها، وإنما يستشعر أحدهم ما في تركه من المضرة العاجلة(٥)، انتهى كلامه.

وقال النووي: قوله ﷺ: (إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك) فيه استحباب الإنفاق في وجوه الخير، وفيه أن الأعمال بالنيات، وأنه إنما يثاب على

---

(١)طريق الهجرتين (ص٣٧٥).

(٢)أخرجه البخاري (١٢٩٥) ومسلم (١٦٢٨).

(٣)أخرجه البخاري (٥٣٥١) ومسلم (١٠٠٢) عن أبي مسعود الأنصاري ﵁.

(٤)أخرجه مسلم (٩٩٥) عن أبي هريرة ﵁.

(٥)جواب الاعتراضات المصرية (ص ٩٤) بتصرف.

عمله بنيته، وفيه أن الإنفاق على العيال يثاب عليه إذا قصد به وجه الله تعالى، وفيه أن المباح إذا قُصد به وجه الله تعالى صار طاعةً ويثاب عليه، وقد نبَّه ﷺ على هذا بقوله: (حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك) لأن زوجة الإنسان هي من أخص حظوظه الدنيوية وشهواته المباحة، ووضع اللقمة في فيها إنما يكون ذلك في العادة عند الملاطفة، وهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة، ومع هذا فأخبر ﷺ أنه إذا قصد بهذه اللقمة وجهَ الله تعالى حصل له الأجر بذلك، فغير هذه الحالة أولى بحصول الأجر إذا أراد وجه الله تعالى، ويتضمن ذلك أن الإنسان إذا فعل شيئًا أصله على الإباحة وقصد به وجه الله تعالى يثاب عليه، وذلك كالأكل بنية التقوِّي على طاعة الله تعالى والنوم للاستراحة ليقوم إلى العبادة نشيطًا، والاستمتاع بزوجته؛ ليكفَّ نفسَه وبصَره ونحوهما عن الحرام، وليقضي حقها، وليحصِّل ولدًا صالحًا، وهذا معنى قوله ﷺ: (وفي بُضْع أحدكم صدقة)[1]. انتهى كلامه.

وقد قال النبي ﷺ: (ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة)[2].

وقال المهلّب: النفقة على الأهل واجبة بالإجماع، وإنما سمّاها الشارع صدقةً خشية أن يظنوا أنّ قيامهم بالواجب لا أجر لهم فيه، وقد عَرَفُوا ما في الصدقة من الأجر، فعرَّفهم أنها لهم صدقةٌ، حتى لا يخرجوها إلى غير الأهل إلا بعد أن يَكْفُوهم؛ ترغيبا لهم في تقديم الصدقة الواجبة قبل صدقة التطوّع[3].

الرابعة: مما يبين عظيم أجر النفقة مع نية الاحتساب، قولُ شيخ الإسلام ابن تيمية: من أحب أن يلحق بدرجة الأبرار، ويتشبه بالأخيار، فلينوِ في كل يومٍ تطلع فيه الشمس نفع الخلق، فيما يسر الله من مصالحهم على يديه، وليطعِ الله في أخذ ما حل، وترك ما حرم، وليتورعْ عن الشبهات ما استطاع؛ فإن طلب الحلال والنفقة على العيال بابٌ عظيمٌ لا يعدله شيء من أعمال البر[4].

الخامسة: قال العلامة السعدي: إن الله يفتح لمن يقوم على الضعفاء من أسباب النصر والرزق ما لم يكن في الخيال. فكم من إنسانٍ كان رزقه مقترًا، فلما كثرت عائلته والمتعلقون به، وسَّع الله له الرزق، فوعد الله لا يخلف: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} والمَلَك يقول صباح كل يومٍ:

---

(١)شرح النووي على مسلم (١١/ ٧٧).

(٢)أخرجه أحمد (١٧١٧٩) عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه، بإسنادٍ جيدٍ، كما قاله المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢).

(٣)فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٩٨).

(٤)الإيمان الأوسط (ص ٦٠٩).

«اللهم أعط منفقًا خلفًا، وأعط ممسكًا تلفًا» وأيضًا أرزاق هؤلاء الضعفاء توجهت إلى من قام بهم وكانت على يده، والمعونة من الله تأتي على قدر المؤنة، والبركة تشارك كل ما كان لوجهه سبحانه ومرادًا به ثوابه. وما كان له فهو مبارك. ومن جهة قوة التوكل، وثقة المنفِق، وطمعه في فضل الله وبره. والطمعُ والرجاء من أكبر الأسباب لحصول المطلوب. وأيضًا من جهة دعاء المستضعفين المنفَق عليهم[١].

السادسة: قال ابن القيم: العالِمُ كلَّما بذل علمَه للناس وأنفقَ منه تفجَّرت ينابيعُه وازداد كثرةً وقوَّةً وظهورًا، فيكتسبُ بتعليمه حفظَ ما عَلِمَه، ويحصلُ له به علمُ ما لم يكن عنده، وربَّما تكونُ المسألةُ في نفسه غيرَ مكشوفةٍ ولا خارجةٍ من حَيِّز الإشكال، فإذا تكلَّم بها وعلَّمها اتضحت له وأضاءت وانفتح له منها علومٌ أُخَر؛ فإنَّ الجزاء من جنس العمل، فكما عَلَّمَ الخلقَ من جهالتهم، جزاه اللهُ بأن علَّمه من جهالته؛ وقد قال النبي ﷺ: (إنَّ الله قال لي: أَنفِقْ أُنفِقْ عليك) وهذا يتناولُ نفقة العلم؛ إمَّا بلفظه، وإمَّا بتنبيهه وإشارته وفحواه.

ولزكاء العلم ونموِّه طريقان، أحدُهما: تعليمُه، والثاني: العملُ به؛ فإنَّ العملَ به أيضًا ينمِّيه ويكثِّره، ويفتحُ لصاحبه أبوابَه وخباياه، وهذا لأنَّ تعليمَه والعملَ به هو التجارة فيه، فكما ينمو المالُ بالتجارة فيه كذلك العلم[٢].

الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلاَثٍ لاَ أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: صَوْمِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاَةِ الضُّحَى، وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ» أخرجاه[٣].

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أنه قال: «أَوْصَانِي حَبِيبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ، لَنْ أَدَعَهُنَّ مَا عِشْتُ، بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَبِأَنْ لَا أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ» أخرجه مسلم[٤].

الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: «أَوْصَانِي حَبِيبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثَةٍ لَا أَدَعُهُنَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَبَدًا: أَوْصَانِي بِصَلَاةِ الضُّحَى، وَبِالْوَتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ، وَبِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ» أخرجه النسائي،

---

(١)بهجة قلوب الأبرار (ص١٥٣).

(٢)مفتاح دار السعادة (١/ ٣٦٣).

(٣)صحيح البخاري (١١٧٨) صحيح مسلم (٧٢١).

(٤)صحيح مسلم (٧٢٢).

وصححه ابن خزيمة[١].

في هذه الأحاديث مسائل:

الأولى: فيها دلالة على استحباب صلاة الضحى، وتأكدها والمداومة عليها؛ لذلك حافظ عليها هؤلاء الصحابة. وعدمُ مواظبة النبي ﷺ على فعلها لا ينافي استحباب المداومة؛ لأنه حاصل بدلالة القول، وليس من شرط الحكم أن تتضافر عليه أدلة القول والفعل[٢].

الثانية: أن أقلها ركعتان، إجماعًا[٣]، ولا حد لأكثرها، كما تقدم في حديث عمرو بن عَبَسة، وعن معاذة أنها سألت عائشة، كم كان رسول الله ﷺ يصلي صلاة الضحى؟ قالت: «أربع ركعاتٍ، ويزيد ما شاء»[٤]، وفي الحديث القدسي: (ابنَ آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره)[٥]، وكانت عائشة تصلي الضحى ثماني ركعات، ثم تقول: «لو نُشِر لي أبوايَ ما تركتهن»[٦]، أي: لو أُحيِيَ لي أبواي ما تركت صلاة الضحى، ولا منعني فرحي بهما من صلاتها.

الثالثة: بداية وقت صلاة الضحى من ارتفاع الشمس قِيدَ رمحٍ إلى قبيل الزوال.

وأفضل أوقاتها هو وقت اشتداد حرارة الشمس؛ لِما جاء أن زيد بن أرقم رأى قومًا يصلون من الضحى، فقال: أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ، قال: (صلاة الأوابين حين تَرمَض الفصال)[٧]، سميت بذلك؛ لأنهم آبوا ورجعوا إلى طاعة الله وعبادته حينما انشغل الناس بأمور دنياهم، وأخلدَ آخرون إلى الراحة، فيقوم هؤلاء يصلون ويذكرون الله تعالى.

الرابعة: يشرع قضاء صلاة الضحى إذا خرج وقتها وهو لم يصلها؛ قياسًا على قضاء السنن الرواتب

---

(١)سنن النسائي (٢٤٠٤) صحيح ابن خزيمة (١٢٢١) وقال في إرواء الغليل (٢/ ٢١٢): إسناده صحيح.

(٢)إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢/ ٣٣).

(٣)طرح التثريب (٣/ ٧١).

(٤)أخرجه مسلم (٧١٩).

(٥)أخرجه الترمذي (٤٧٥) عن أبي الدرداء، وأبي ذرٍّ رضي الله عنهما، وقال الذهبي في السِّيَر (٨/ ٣٢٣): «حديث حسن، متصل الإسناد، شامي» وقال في ميزان الاعتدال (١/ ٢٤٢): «هذا حسن قوى الإسناد». وله شاهد من حديث نُعيم بن همَّار، عن النبي ﷺ قال: (يقول الله عز وجل: يا ابن آدم لا تعجزني من أربع ركعات في أول نهارك، أكفك آخره) أخرجه أبو داود (١٢٨٩) وصححه ابن حبان (٢٥٣٣) وقال النووي في خلاصة الأحكام (١/ ٥٦٩): إسناده صحيح. وقال بعض العلماء: هذا الحديث في فضل صلاة الفجر مع راتبتها.

(٦)أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٥٣) وصححه الألباني. مشكاة المصابيح (١/ ٤١٣).

(٧)صحيح مسلم (٧٤٨) قال النووي في شرحه (٦/ ٣٠): الرمضاء: الرمل الذي اشتدت حرارته بالشمس، أي حين يحترق أخفاف الفِصال وهي الصغار من أولاد الإبل.

والوتر[١].

الخامسة: فيه تأكيد الوتر- وقد قيل بوجوبه- ولتأكُّده أمر النبي ﷺ هؤلاء الجِلَّة من الصحابة بالوتر قبل النوم من باب الأخذ بالحزم والاحتياط، قال ابن رجبٍ: قد كان كثير من الصحابة يوتر من أول الليل، ومنهم من كان يفعل ذلك خشيةً من هجوم الموت في النوم؛ فإنهم كانوا على نهايةٍ من قِصر الأمل[٢].

ومن وثق بالقيام آخر الليل فوتره آخر الليل أفضل؛ لقول النبي ﷺ: (مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ)[٣].

السادسة: الصيام من أفضل العبادات وأحبها إلى الله، قال القرطبي في قوله: {إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} الصَّابِرُونَ: الصَّائِمُونَ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ: (الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: كُلُّ أَجْرٍ يُكَالُ كَيْلًا وَيُوزَنُ وَزْنًا إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ يُحْثَى حَثْوًا وَيُغْرَفُ غَرْفًا[٤].

وقال ابن رجبٍ: والصبرُ ثلاثةُ أنواع: صبرٌ على طاعةِ اللَّهِ، وصبْرٌ عن محارمِ اللَّهِ، وصبرٌ على أقدارِ اللَّهِ المؤلمةِ. وتجتمعُ الثلاثةُ كلُّها في الصوم؛ فإنَّ فيه صَبرًا على طاعةِ اللَّهِ، وصَبرًا عمَّا حرَّمَ اللَّهُ على الصائم من الشَّهواتِ، وصبرًا على ما يحصُلُ للصَّائم فيه من ألم الجوع والعطشِ، وضعْفِ النفسِ والبدنِ[٥].

وقال النبي ﷺ: (كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ، قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، والذي نفس محمدٍ بيده، لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)[٦].

وقال النبي ﷺ: (إن في الجنة بابًا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل

---

(١)تسهيل الفقه (٤/٢٦٣).

(٢)فتح الباري (٩/ ١٦١).

(٣)أخرجه مسلم (٧٥٥) عن جابر رضي الله عنه.

(٤)الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٤١).

(٥)لطائف المعارف (ص١٥٠).

(٦)أخرجه البخاري (٥٩٢٧) ومسلم (١١٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

منه أحد)[١].

وقال النبي ﷺ: (من صام يومًا في سبيل الله، بَعَّد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا)[٢].

وقال أبو أُمامة: يا رسول الله، مُرْني بعملٍ، قال: (عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له) فما رُئي أبو أمامة ولا امرأته ولا خادمه إلا صيامًا، فكان إذا رُئي في دارهم دخان بالنهار قيل: اعتراهم ضيف، نزل بهم نازل[٣].

وقال النبي ﷺ: (الصيام جُنَّةٌ من النار، كجنة أحدكم من القتال)[٤].

وقال ﷺ لعبد الله بن عمروٍ: (صم من الشهر ثلاثة أيامٍ، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر)[٥].

وقال ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ؟ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ)[٦].

وينبَّه إلى أن الصيام مندوبٌ في أي يومٍ ما عدا ما نُهي عن صيامه، إلا أنه يفضل في الأيام التي ندبَ الشرع إلى صيامها، كالإثنين والخميس.

الحديث السادس والثلاثون

عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللَّهَ، كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ)** أخرجه البخاري[٧].

فيه مسائل:

الأولى: لما كان العاطس قد حصلت له بالعُطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المحتقنة في دماغه التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواءً عَسِرةً، شُرع له حمد الله على هذه النعمة، مع بقاء أعضائه على

(١)أخرجه البخاري (١٨٩٦) ومسلم (١١٥٢) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢)أخرجه البخاري (٢٨٤٠) ومسلم (١١٥٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣)أخرجه أحمد (٢٢١٤٠) وصححه ابن حبان (٣٤٢٥).

(٤)أخرجه ابن ماجه (١٦٣٩) وصححه ابن خزيمة (١٨٩١) عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه.

(٥)أخرجه البخاري (١٩٧٦) صحيح مسلم (١١٥٩).

(٦)أخرجه النسائي (٢٣٨٥) عن رجلٍ، من أصحاب النبي ﷺ. قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ١٦٠): الوَحَر: بالتحريك: غشه ووساوسه. وقيل: الحقد والغيظ. وقيل: العداوة. وقيل: أشد الغضب.

(٧)صحيح البخاري (٦٢٢٦).

التئامها وهيئتها بعد هذه الزلزلة[١].

الثانية: العطاس يدل على النشاط وخِفة البدن، ثم حمد الله عليه، ودعاء المسلمين له بالرحمة، ودعاؤه لهم بالهداية، وإصلاح البال، كل ذلك يحبه الرحمن ويَغيظ الشيطان[٢].

الثالثة: التثاؤب يكون غالبًا مع ثقل البدن وامتلائه واسترخائه وميله إلى الكسل، وإضافته إلى الشيطان لأنه الذي يدعو إلى الشهوات، والمراد التحذير من السبب الذي يتولد منه ذلك، وهو التوسع في المآكل والمشارب[٣].

الرابعة: العاطس إذا حمد الله فسمعه بعض الحاضرين، فهل يسن لمن لم يسمعه تشميته؟ قال ابن القيم: فيه قولان، والأظهر: أنه يشمته إذا تحقق أنه حمد الله، وليس المقصود سماع المشمِّت للحمد، وإنما المقصود نفس حمده، فمتى تُحققَّ تَرَتَّب عليه التشميت، كما لو كان العاطس أخرس ورأيت حركة شفتيه بالحمد؛ والنبي ﷺ قال: (فإن حمد الله فشمتوه)[٤].

الخامسة: هل يستحب تذكير العاطس إذا ترك الحمدَ؟ قال ابن القيم: ظاهر السنة أنه لا يُذكَّر؛ لأن النبي ﷺ لم يشمت الذي عطس، ولم يحمد الله، ولم يذكِّره، وهذا تعزيرٌ له وحرمان لبركة الدعاء؛ لمَّا حرم نفسه بركة الحمد، فنسي الله، فصرف قلوب المؤمنين وألسنتهم عن تشميته والدعاء له، ولو كان تذكيره سنةً، لكان النبي ﷺ أولى بفعلها وتعليمها، والإعانة عليها[٥]. لكن من كان جاهلًا لهذه السنة فيندب تعليمه.

السادسة: يسن للعاطس أن يغطيَ فاه ويغضَّ صوته؛ لقول أبي هريرة: «إن النبي ﷺ كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه، وغض بها صوته»[٦].

السابعة: الأمر بكظم التثاؤب ورده ووضع اليد على الفم؛ لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته، ودخوله فمه، وضحكه منه؛ قال النبي ﷺ: (إذا تثاءب أحدكم، فليمسك بيده على فيه؛ فإن الشيطان يدخل)[٧].

الحديث السابع والثلاثون

---

(١)زاد المعاد (٢/ ٤٠٠).

(٢)زاد المعاد (٢/ ٤٠١).

(٣)شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٢٢).

(٤)أخرجه مسلم (٢٩٩٢) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٥)زاد المعاد (٢/ ٤٠٣).

(٦)أخرجه الترمذي (٢٧٤٥) وقال: حديث حسن صحيح. وقال ابن حجرٍ في فتح الباري (١٠/٦٠٢): سنده جيد.

(٧)أخرجه مسلم (٢٩٩٥) من حديث أبي سعيدٍ رضي الله عنه.

عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ**) قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: (**لاَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**) أخرجاه، وفي روايةٍ لمسلم: (**وَإِنْ أَصْبَحْتَ، أَصَبْتَ خَيْرًا**)(١).

فيه مسائل:

الأولى: يسن الوضوء عند إرادة النوم، وله فوائد، منها: أن الوضوء يغسل الخطايا ويحطها، كما تقدم، فمن المناسب أن يبيت المؤمن على طُهرٍ؛ لئلا يبغته الموت، فيكون على هيئةٍ كاملةٍ، ويؤخذ منه: الندبُ إلى الاستعداد للموت بطهارة القلب؛ لأنه أولى من طهارة البدن، ومنها: أن يقول أذكار النوم على طُهرٍ، ومنها: أنه يكون أصدق لرؤياه، وأبعد من لعب الشيطان به في منامه، وترويعه إياه(٢)، ومنها: أنه أرجى لقبول دعائه، قال النبي ﷺ: (ما من مسلمٍ يبيت على ذِكْرٍ طاهرًا، فيتعار من الليل، فيسأل الله خيرًا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه)(٣).

الثانية: يسن النوم على الشِّق الأيمن؛ لأنه أسرع إلى الانتباه؛ فإن القلب متعلق إلى جهة اليمين، فلا يثقل بالنوم.

الثالثة: من آداب النوم:

ما جاء في قول النبي ﷺ: (إذا جاء أحدكم فراشَه فلينفضه بصَنِفَة ثوبه ثلاث مراتٍ)(٤).

وقولِ البراء: كان رسول الله ﷺ يتوسَّد يمينه عند المنام، ثم يقول: (ربِّ قني عذابك يوم تبعث عبادك)(٥).

وقولِ ابن عمر: «إن رسول الله ﷺ كان لا ينام إلا والسواك عنده، فإذا استيقظ بدأ بالسواك»(٦).

---

(١)صحيح البخاري (٢٤٧) صحيح مسلم (٢٧١٠).

(٢)شرح النووي على مسلم (١٧/ ٣٢).

(٣)أخرجه أبو داود (٥٠٤٢) عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه، وحسَّنه ابن حجرٍ في نتائج الأفكار (٣/ ٨٣).

(٤)أخرجه البخاري (٦٣٢٠) ومسلم (٢٧١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والصَّنِفةُ: طرف ثوبه، أو حاشيته، أو طرته، وهو جانبه الذي لا هدب له.

(٥)أخرجه الترمذي (٣٣٩٩) وصححه أبو نُعيمٍ في حلية الأولياء (٨/ ٢١٥) وابن حجرٍ في فتح الباري (١١/ ١١٥).

(٦)أخرجه أحمد (٥٩٧٩).

الرابعة: مجموع السنن عند النوم التي تقدم ذكرها سبعةٌ، أحدها: الوضوء، والثانية: نفض الفراش، والثالثة: تهيئة السواك، والرابعة: الاضطجاع على الشق الأيمن، والخامسة: توسُّد اليد اليمنى، والسادسة: الوتر لمن لا يتيقن أنه سيوتر آخر الليل، والسابعة: قول الأذكار المشروعة، والختم بها.

الخامسة: النوم، والأكل، والبيع والشراء، وغيرُها من المباحات إذا نوى المسلم بفعلها التقوّي على طاعة الله، كان ذلك عبادةً يثاب عليها؛ قال معاذ ﷺ: «أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت حزبي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي، كما أحتسب قومتي»(١)، وعن يحيى بن أبي كثيرٍ، قال: تعلموا النية؛ فإنها أبلغ من العمل. وعن زبيدٍ اليامي، قال: إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيءٍ، حتى في الطعام والشراب، وعنه أنه قال: انوِ في كل شيءٍ تريده الخيرَ، حتى خروجك إلى الكُناسة، وعن داود الطائي، قال: رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية، وكفاك بها خيرًا وإن لم تَنْصبْ(٢).

ومن جميل الوصايا قول بعض العلماء: احرص على أن لا تعمل شيئًا إلا بنيةٍ؛ فإنك تؤجر في جميع أعمالك، إذا أكلت فانوِ بذلك التقوي لطاعة الله، وكذلك في نومك، وتفرُّجك، وسائر أعمالك؛ فإنك ترى ذلك في ميزان حسناتك(٣).

وقال الغزالي: ما من شيءٍ من المباحات إلا ويحتمل نيةً أو نياتٍ يصير بها من محاسن القربات، ويُنال بها معالي الدرجات، فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهوٍ وغفلةٍ(٤).

وقال القسطلاني: النية الصالحة إكسيرٌ تَقْلبُ العادةَ عبادةً، والقبيح جميلاً، فالعاقل لا يتحرك حركةً إلاّ لله، فينوي بمكثه في المسجد زيارة ربه في انتظار الصلاة، واعتكافه على طاعته، وبدخوله الأسواق ذكرَ الله- وليس الجهر بشرطٍ- وأمرًا بمعروفٍ ونهيًا عن منكرٍ، وينوي عقب كل فريضةٍ انتظارَ أخرى، فأنفاسه إذًا نفائس، ونيته خير من عمله(٥).

السادسة: قوله ﷺ: (وَإِنْ أَصْبَحْتَ، أَصَبْتَ خَيْرًا) أي: خيرًا عظيمًا، فالتنكير للتعظيم، بسبب اهتمامك بالخير، ومتابعتك سنة رسول الله ﷺ.

---

(١)أخرجه البخاري (٤٣٤١).

(٢)جامع العلوم والحكم (١/ ٧٠).

(٣)جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (ص٤٤).

(٤)إحياء علوم الدين (٤/ ٣٧١).

(٥)إرشاد الساري (١/ ١٥٠).

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ)** أخرجه أحمد، وصححه ابن خزيمة وابن حبان[١].

فيه مسائل:

الأولى: تأملوا رحمكم الله ما صح من الأحاديث في هذه الخِلال الأربع من فضائل؛ لتدركوا عظيم موقعها عند أرحم الراحمين، ففي حديث اختصام الملأ الأعلى، أن الله تعالى قَالَ: (يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَالجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ، قَالَ: ثُمَّ فِيمَ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ)[٢].

وسُئل ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: (تطعم الطعام، وتَقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)[٣].

وقال أبو شريحٍ: يا رسول الله أخبرني بشيءٍ يوجب لي الجنة، قال: (طِيب الكلام، وبذل السلام، وإطعام الطعام)[٤].

وقال عبد الله بن سلامٍ: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجهَ رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذابٍ، فكان أول شيءٍ تكلم به، أن قال: (يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلامٍ)[٥].

الثانية: قال البيهقي: إطعام الطعام يحتمل أن المراد به إطعام المحاويج، ويحتمل أن يكون المراد به الضيافة، ويحتمل أن يكون أرادهما جميعًا، وللضيافة أثر عظيم في التحاب والتآلف، وورد في إكرام الضيف أخبار صحيحة[٦]. وقال ابن رسلان: لكن إطعام المحاويج أفضل؛ لأنه به قِوام أبدانهم[٧].

---

(١)مسند أحمد (٢٢٩٠٥) صحيح ابن خزيمة (٢١٣٧) صحيح ابن حبان (٥٠٩).

(٢)أخرجه الترمذي (٣٢٣٥) عَنْ مُعَاذِ بنِ جَبلٍ ﷺ، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ هَذَا الحَدِيثِ، فَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣)أخرجه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤)أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨١١) وصححه ابن حبان (٤٩٠) والحاكم (٦١).

(٥)أخرجه الترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجه (١٣٣٤) وصححه الترمذي والحاكم (٤٢٨٣).

(٦)شعب الإيمان (١١/ ٢٩٨).

(٧)شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٩/ ٥١٠).

الثالثة: جعل الله إطعام الطعام من الأسباب المنجية من النار الموجبة للجنة ونعيمها، قال تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا* إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا* وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} وقال تعالى: {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ* فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ* يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ* أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ}، وقال النبي ﷺ: (اتقوا النار ولو بشق تمرةٍ)[1].

قال الشيخ السعدي في قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ* وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}: مدار السعادة ومادتها أمران: الإخلاص لله، الذي أصله الإيمان بالله، والإحسان إلى الخلق بوجوه الإحسان، الذي من أعظمها، دفع ضرورة المحتاجين بإطعامهم ما يتقوتون به، وهؤلاء لا إخلاص ولا إحسان، فلذلك استحقوا ما استحقوا[2].

الرابعة: يتأكد إطعام الطعام للجائع وللجيران خصوصًا؛ لقول النبي ﷺ: (أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني)[3]، ولقول أبي ذرٍّ رضي الله عنه: إن خليلي ﷺ أوصاني: (إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيتٍ من جيرانك، فأصبهم منها بمعروفٍ)[4].

الخامسة: الكلام الطيب مندوب إليه، وهو من جليل أفعال البر؛ لأن النبي ﷺ جعله كالصدقة بالمال، فقال: (والكلمة الطيبة صدقة) وجعلها سببًا للوقاية من النار، فقال: (لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلاَ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)[5].

والكلمة الطيبة يفرح بها المؤمن، ويحسن موقعها من قلبه، وتذهب الشحناء، كما قال تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[6]. وقال تعالى: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا} وقال: {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشيطان ينزغ بينهم}.

(١)أخرجه البخاري (١٤١٧) ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتمٍ رضي الله عنه.

(٢)تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٨٤).

(٣)أخرجه البخاري (٥٣٧٣) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤)أخرجه مسلم (٢٦٢٥).

(٥)أخرجه البخاري (١٤١٣) ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتمٍ رضي الله عنه.

(٦)شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٢٥).

السادسة: صلاة الليل لها شأن كبيرٌ وقدر عظيم في كتاب الله وسنة نبينا ﷺ، قال ربنا في صفة عباد الرحمن: {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا}.

وقال في صفة المتقين: {كَانُوا قَلِيلا مِّنَ اللَيل مَا يَهْجَعُونَ* وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}.

وقال: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ* فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

وقال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَيل سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}.

وقال تعالى لنبيه ﷺ: {يَا أَيُّهَا الْمُزَمِّل* قُمِ اللَيل إِلا قَلِيلًا* نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا* إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا* إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا. إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا}.

وقال: {وَمِنَ اللَيل فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}.

وقال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا* وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا* وَمِنَ اللَيل فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلا طَوِيلًا}.

وتقدمت جملةٌ من الأحاديث في فضل قيام الليل، وقالت عَائِشَة، إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَلتُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: (أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا) فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ[(١)].

وقَالَ النبي ﷺ: (مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ المُقَنْطِرِينَ)[(٢)].

الحديث التاسع والثلاثون

عن عائشة، أن النبي ﷺ قال لها: (إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ)

أخرجه أحمد، وقال المنذري وابن حجرٍ: رواته ثقات[(٣)].

---

(١)أخرجه البخاري (٤٨٣٧) ومسلم (٢٨٢٠).

(٢)أخرجه أبو داود (١٣٩٨) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (٢٥٧٢) وترجم عليه: ذكر نفي الغفلة عمن قام الليل بعشر آياتٍ. وقال ابن حجرٍ في نتائج الأفكار (٣/ ٢٥٤): «والحديث حسن في الجملة؛ لشواهده».

(٣)مسند أحمد (٢٥٢٥٩) الترغيب والترهيب (٣/٢٢٨) فتح الباري (١٠/٤١٥) وقال الألباني في الصحيحة (٢/ ٤٨): إسناده

فيه مسائل:

الأولى: الرفق، هو اللين، والتسهيل، وضده العنف والتشديد والتصعيب، وقد يجيء الرفق أيضًا بمعنى: التمهل في الأمر والتأني فيه(١).

الثانية: هذه الخَلة العظيمة يحتاجها الوالي ونوابه والمدير والمعلم وإمام المسجد والوالد، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وكلُّ إنسانٍ في حمل نفسه وتدريبها على معالي الأمور، وفي رعايته لدابته؛ لذلك جاءت الآيات والأحاديث مرغبةً في هذا الخُلق، قال الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}.

وقال النبي ﷺ: (إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)(٢).

وقال ﷺ: (اللهم، من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرَفَقَ بهم، فارفُق به)(٣).

ولما ركبت عائشة بعيرًا، فيه صعوبة، جعلت تردده، فقال لها النبي ﷺ: (عليكِ بالرفق؛ إن الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه، ولا ينزع من شيءٍ إلا شانه)(٤).

وقال ﷺ: (من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير)(٥).

الثالثة: لصلة الرحم شأن كبيرٌ، ولواصلها الفضل العظيم، ولقاطعها الجزاء الوبيل، قال النبي ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه)(٦).

صحيح رجاله ثقات، وصححه الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (٢/ ٥٢٢). قال ابن القيم: «... ولذلك كان من وصل رحمه لقربه من الرحمن، ورعاية حُرمة الرحم، قد عمَّر دنياه، واتسعت له معيشته، وبورك له في عمره، ونُسئ له في أثره، فإن وصل ما بينه وبين الرحمن جل جلاله مع ذلك، وما بينه وبين الخلق بالرحمة والإحسان، تَمَّ له أمر دنياه وأُخراه، وإن قطع ما بينه وبين الرحم، وما بينه وبين الرحمن، أفسد عليه أمر دنياه وآخرته، ومُحق بركة رحمته ورزقه وأثره» مختصر الصواعق المرسلة (ص٣٧٠).

(١)المفهم (٦/ ٥٧٦).

(٢)أخرجه مسلم (٢٥٩٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣)أخرجه مسلم (١٨٢٨).

(٤)أخرجه مسلم (٢٥٩٤) تردده: أي: تُزعجه، وتحرّكه.

(٥)أخرجه الترمذي (٢٠١٣) عن أبي الدرداء ﷺ، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٦)أخرجه البخاري (٦١٣٨) عن أبي هريرة ﷺ.

وقال ﷺ: (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصلَ من وصلكِ، وأقطعَ من قطعكِ؟ قالت: بلى، قال: فذاكَ لكِ، اقرؤوا إن شئتم: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ، أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}(١)، وفي هذا الحديث البشرى للواصل والوعيد للقاطع.

وقال ﷺ: (من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه)(٢).

الرابعة: اختُلف في حد الرّحم التي تجب صلتها، فقيل: هو كل رحمٍ محرمٍ، بحيث لو كان أحدهما ذكرًا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام ولا أولاد الأخوال، واحتُج لهذا القول بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، وجواز ذلك في بنات الأعمام والأخوال.

وقيل: هو عام في كل رحمٍ من ذوي الأرحام في الميراث يستوي المحرم وغيره؛ لأن هؤلاء أرحام وقد أمر الله بصلة الأرحام، ولم يرد ما يخصها بالرحم المحرم(٣).

الخامسة: صلة الرحم مرجعها إلى العرف، وتكون بالإحسان إلى ذوي الأرحام وبالسلام والزيارة والمواساة بالمال وغيره، والدعاء لهم، وموالاتهم ومحبتهم أكثر من غيرهم؛ لأجل قرابتهم، وتأكيد المبادرة إلى صلحهم عند عداوتهم، والاجتهاد في إيصالهم كفايتهم بطيب نفسٍ عند فقرهم، والإسراع إلى مساعدتهم ومعاونتهم عند حاجتهم، ومراعاة جبر خاطرهم مع التعطف والتلطف بهم، وتقديمهم في إجابة دعواتهم، والتواضع معهم في غناه وفقرهم وقوته وضعفهم، ومداومة مودتهم ونصحهم في كل شؤونهم، والبداءة بهم في الدعوة والضيافة قبل غيرهم، وإيثارهم في الإحسان والصدقة والهدية على من سواهم؛ لأن الصدقة عليهم صدقة وصلة، وفي معناها الهدية ونحوها، ويتأكد فعل ذلك مع الرحم الكاشِح المبغض عساه أن يرجع عن بغضه إلى مودة قريبه ومحبته، وهذا كله ليس بواجب، بل مندوب كما يعلم(٤).

السادسة: من أعظم الصلة التي يجب وصلها صلة الوالدين، وقد ورد في الأمر بصلتهما والإحسان إليهما وإكرامهما آيات وأحاديث كثيرة.

---

(١)أخرجه البخاري (٥٩٨٧) ومسلم (٢٥٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢)أخرجه البخاري (٢٠٦٧) ومسلم (٢٥٥٧) عن أنسٍ رضي الله عنه.

(٣)شرح النووي على مسلم (١٦/ ١١٣).

(٤)غذاء الألباب (١/ ٣٥٥) منحة العلام (١٠/٨٤) الكاشح: العدو الذي يضمر عداوته.

قال ربنا سبحانه عن نبيه عيسى ﷺ: {وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا}، وفي الآية إيماءٌ إلى أن من أسباب السعادة بر الوالدين.

وقرن شكره جل وعلا بشكرهما، فقال: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ}.

والإحسان إليهما قرين التوحيد، قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}. وفي الآية أيضًا: أن من الإحسان للوالدين الدعاء لهما حال الحياة، وبعد الممات.

وسَأَلَ ابنُ مسعودٍ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا)، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ) قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وفي روايةٍ: «أَيُّ الْأَعْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ؟» وفي أخرى: «أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟»[(١)].

وكان ابن عمر، إذا خرج إلى مكة، كان له حمار يتروَّح عليه، إذا ملَّ ركوب الراحلة، وعمامةٌ يشد بها رأسه، فمر به أعرابي، فقال: ألست ابن فلان بن فلانٍ؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار، وقال: اركب هذا، والعمامةَ قال: اشدد بها رأسَك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابي حمارًا كنت تروَّح عليه، وعمامةً كنت تشد بها رأسك، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن من أبرِّ البر صلة الرجل أهل وُدِّ أبيه بعد أن يولي) وإن أباه كان صديقًا لعمر[(٢)].

السابعة: للخُلق الحسن منزلة عظيمة في دين الإسلام، فقد بُعث النبي ﷺ ليتمم صالح الأخلاق، وأثنى الله على نبيه ﷺ بحسن الخلق فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

وتأمل- تولاك الله برحمته- الأحاديث الآتية لتدرك منها عظيم منزلة الخلق الحسن في الإسلام.

قال النبي ﷺ: (إن خياركم أحاسنكم أخلاقًا)[(٣)].

وقال ﷺ: (البر حسن الخلق)[(٤)].

---

(١)أخرجه البخاري (٥٢٧) ومسلم (٨٥).

(٢)أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

(٣)أخرجه البخاري (٦٠٣٥) ومسلم (٢٣٢١) عن عبد الله بن عمروٍ رضي الله عنهما، وفي شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٧٨): قوله: (إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا) فيه الحث على حسن الخلق، وبيان فضيلة صاحبه، وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه. قال الحسن البصري: حسن الخلق: بذل المعروف، وكف الأذى، وطلاقة الوجه. قال القاضي عياض: هو مخالطة الناس بالجميل والبِشر والتودد لهم والإشفاق عليهم واحتمالهم والحلم عنهم والصبر عليهم في المكاره، وترك الكِبر والاستطالة عليهم ومجانبة الغِلَظ والغضب والمؤاخذة.

(٤)أخرجه مسلم (٢٥٥٣) عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

وقال ﷺ: (أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا، وخيركم خيركم لنسائهم)(١).

وقال ﷺ: (ما من شيءٍ أثقل في الميزان من حسن الخُلق)(٢).

وقال ﷺ: (إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون)(٣).

وقال ﷺ: (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)(٤).

وقال ﷺ: (أنا زعيم ببيت في رَبَض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)(٥).

وسُئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: (تقوى الله، وحسن الخلق)(٦).

الثامنة: الوالدان والزوج والأولاد والأقربون أولى الناس بحسن الخلق، ومخالطةُ الإنسان لهم أكثر من غيرهم، فمن أرد أن يكثر ثوابه وتضاعف حسناته، فليجتهد في معاملتهم بالخلق الحسن ما اسطاع إلى ذلك سبيلًا، وقد قال رسول الله ﷺ: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)(٧).

التاسعة: إنَّ من أعظم ما يوصل إلى الخُلق الحسن، وإلى كل برٍّ وطاعةٍ هو الدعاء، وإذا أردت أن يفتح لك الفتاحُ الوهابُ بابًا من أبواب الخير، فأكثر من الدعاء بذلك، وسترى من الله- خاصَّةً مع الإلحاح- ما يسرك، فما خابَ من أنزل بالله حوائجَه، وعلَّق به آمالَه، وأصبح ببابه مقيمًا وبحِماه نزيلًا.

---

(١)أخرجه أبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) عن أبي هريرة ﷺ، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢)أخرجه أبو داود (٤٧٩٩) والترمذي (٢٠٠٢) عن أبي الدرداء ﷺ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣)أخرجه الترمذي (٢٠١٨) عن جابرٍ ﷺ، قال الترمذي: «الثرثار: هو الكثير الكلام، والمتشدق الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم».

(٤)أخرجه أبو داود (٤٧٩٨) عن عائشة، قال في عون المعبود (١٠٧/١٣): وإنما أُعطي صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم؛ لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما، وأما من يحسِّن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم، فكأنه يجاهد نفوسًا كثيرةً، فأدرك ما أدركه الصائم القائم، فاستويا في الدرجة، بل ربما زاد.

(٥)أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) عن أبي أمامة ﷺ، وصححه النووي رياض الصالحين (ص ٢٠٦) قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢٩٣/٢): «فجعل البيت العلوي جزاءً لأعلى المقامات الثلاثة، وهي حسن الخلق، والأوسط لأوسطها، وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها وهو ترك المماراة، وإن كان معه حق، ولا ريب أن حسن الخلق مشتمل على هذا كله».

(٦)أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٦) عن أبي هريرة ﷺ، وصححه الترمذي وابن ابن حبان (٤٧٦) والحاكم (٧٩١٩) قال ابن القيم في الفوائد (ص٥٤): «فائدة جليلة: جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته».

(٧)أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وقال: «حسن صحيح» وصححه ابن حبان (٤١٧٧).

وقد كان النبي ﷺ الذي أثنى الله عليه بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} يدعو ربه فيقول: (اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت)(١).

ويقول: (اللهم أحسنت خَلقي، فأحسن خُلقي)(٢).

ويقول: (اللهم جنبني منكرات الأخلاق، والأهواء، والأعمال، والأدواء)(٣).

العاشرة: حسن الجوار من حسن الخلق إلا أن التنصيص عليه لعظيم حق الجار.

قال النبي ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره)(٤).

وقال ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره)(٥).

وقال ﷺ: (خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره)(٦).

الحادية عشرة: قد يدرك المؤمن هذه الفضائل بأمر سهلٍ؛ فقد قيل: البِر شيءٌ هيِّن، وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليِّن.

الثانية عشرة: ينبغي أن تكون وسائل التواصل عونًا لنا على صلة الرحم، والكلام الطيب، وحسن الخلق، وكلِّ ما يقرب إلى الله تعالى، ومن جملة ذلك ابتداء المكالمة بالسلام والختم به.

الحديث الأربعون

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (**رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى**) أخرجه البخاري(٧).

فيه مسائل:

الأولى: قال ابن حجرٍ: قوله: (سَمْحًا) أي سهلًا، وهي صفة مشبهة تدل على الثبوت، فلذلك كرر أحوال البيع والشراء والتقاضي، والمراد هنا المساهلة.

وقوله: (وَإِذَا اقْتَضَى) أي طلب قضاء حقه بسهولةٍ وعدم إلحافٍ، وفي روايةٍ: (وإذا قضى) أي

---

(١)أخرجه مسلم (٧٧١) عن عليّ رضي الله عنه.

(٢)أخرجه أحمد (٣٨٢٣) عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (٩٥٩).

(٣)أخرجه الترمذي (٣٥٩١) عن قطبة بن مالكٍ رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (٩٦٠) والحاكم (١٩٤٩).

(٤)أخرجه البخاري (٦٠١٩) ومسلم (٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥)أخرجه مسلم (٤٨) عن أبي شريحٍ الخزاعي رضي الله عنه.

(٦)أخرجه الترمذي (١٩٤٤) وصححه ابن خزيمة (٢٥٣٩) وابن حبان (٥١٩) والحاكم (١٦٢٠) وابن حجرٍ في الأمالي المطلقة (ص٢٠٨).

(٧)صحيح البخاري (٢٠٧٦).

أعطى الذي عليه بسهولةٍ بغير مَطْلٍ(١).

الثانية: في الحديث الحض على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحة، والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم، قال العلامة السعدي: وقد دعا ﷺ لمن اتصف بهذا الوصف الجميل، فقال: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ...) فالسماحة في مباشرة المعاملة، وفي القضاء، والاقتضاء، يُرجى لصاحبها كل خيرٍ دينيّ ودنيويٍّ؛ لدخوله تحت هذه الدعوة المباركة التي لا بد من قبولها. وقد شوهد ذلك عيانًا؛ فإنك لا تجد تاجرًا بهذا الوصف إلا رأيت الله قد صبَّ عليه الرزق صبًّا، وأنزل عليه البركة، وعكسه صاحب المعاسرة والتعسير، وإرهاق المعاملين، والجزاء من جنس العمل، فجزاء التيسير التيسير. وكان ﷺ يحسن أداء الحقوق لأهلها، ويحث عليه(٢).

ومن ذلك قولُه ﷺ: (دخل رجل الجنة بسماحته، قاضيًا ومتقاضيًا)(٣)، وقولُه ﷺ: (أدخل الله عز وجل رجلًا كان سهلًا مشتريًا، وبائعًا، وقاضيًا، ومقتضيًا الجنة)(٤).

الثالثة: ذكر ابن علان أن المماكسة، وهي طلب انقاص الثّمن، لا تنافي السماحة(٥).

الرابعة: للسماحة في البيع ونحوه صورٌ:

منها: الإقالة: وهي فسخ العقد بتراضي العاقدين؛ قال النبي ﷺ: (من أقال مسلمًا، أقاله الله عثرته يوم القيامة)(٦).

ومنها: البيع بأقل من ثمن المثل، خاصَّةً للمساكين والمحتاجين.

ومنها: الإنظار في الثمن، والتجاوز عن المعسر، قال النبي ﷺ: (إن رجلًا كان فيمن كان قبلكم، أتاه الملَك ليقبض روحه، فقيل له: هل عملت من خيرٍ؟ قال: ما أعلم، قيل له: انظُر، قال: ما أعلم شيئًا غير أني كنت أبايع الناس في الدنيا وأجازيهم، فأُنظِر الموسر، وأتجاوز عن المعسر، فأدخله

---

(١)فتح الباري (٤/ ٣٠٧).

(٢)بهجة قلوب الأبرار (ص٩٦).

(٣)أخرجه أحمد (٦٩٦٣) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وقال المنذري والهيثمي: رواته ثقات، وقال في إرشاد الساري (١/ ٢١٢) ومحققو المسند: إسناده حسن. وقال الألباني: حسن لغيره. صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٥٤) مجمع الزوائد (٤/ ٧٤).

(٤)أخرجه النسائي (٤٦٩٦) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٠٧).

(٥) دليل الفالحين (ص١٤٤٨).

(٦)أخرجه أبو داود (٣٤٦٠) ابن ماجه (٢١٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/ ١٨): «إسناده صحيح على شرط مسلم».

الله الجنة)[١].

ومنها: توفية الدين بأجود أو بأكثر مما يجب عليه؛ فقد كان لرجلٍ على النبي ﷺ سِنٌّ من الإبل، فجاءه يتقاضاه، فقال: (أعطوه)، فطلبوا سِنَّه، فلم يجدوا له إلا سِنًّا فوقها، فقال: (أعطوه)، فقال: أوفيتني أوفى الله بك، قال النبي ﷺ: (إن خياركم أحسنكم قضاءً)[٢].

ومنها: عدم المبالغة في الربح، والقناعة بالقليل منه.

وفي الجملة فالجامع لهذه الصور ونحوها قولُ النبي ﷺ: (من أحب أن يُزحزح عن النار، ويُدخل الجنة، فلتأته منيَّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يُحب أن يُؤتى إليه)[٣]، قال النووي: هذا من جوامع كلمه ﷺ، وبديع حِكَمه، وهذه قاعدة مهمة، ينبغي الاعتناء بها، وأن الإنسان لا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه[٤].

وقال المغيرة: أتيت النبي ﷺ قلت: أبايعك على الإسلام، فشرط عليَّ: (والنصحِ لكل مسلمٍ)[٥]، وقال جرير «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصحِ لكل مسلم)[٦].

وأن يفعل هذه الأمور بنيةٍ صالحةٍ، وسماحة نفسٍ، وطِيب خُلقٍ. قال ربنا جل وعلا: {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} وقال: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

وإلى هنا انتهى ما يسر الله جمعه من الأحاديث، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمدٍ، وآله وصحبه وسلم.

وقد قع الفراغ منه بفضل الله ظهر يوم الأحد، الخامس عشر من جمادى الآخرة، سنة إحدى وأربعين وأربع مئةٍ وألفٍ، والحمد لله رب العالمين.

---

(١)أخرجه البخاري (٣٤٥١) ومسلم (١٥٦٠) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢)أخرجه البخاري (٢٣٠٥) ومسلم (١٦٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣)أخرجه مسلم (١٨٤٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢٣٣).

(٥)صحيح البخاري (٥٨).

(٦)صحيح مسلم (٥٦).